دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

| | |
|---|---|
| العنوان: | جنوب أفريقيا وإسرائيل : علاقة خاصة |
| المصدر: | شؤون فلسطينية |
| الناشر: | منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث |
| المؤلف الرئيسي: | فرسون، سميح |
| المجلد/العدد: | ع 47 |
| محكمة: | نعم |
| التاريخ الميلادي: | 1975 |
| الشهر: | يوليو |
| الصفحات: | 151 - 177 |
| رقم MD: | 202487 |
| نوع المحتوى: | بحوث ومقالات |
| قواعد المعلومات: | EcoLink |
| مواضيع: | الامبريالية، جنوب أفريقيا، إسرائيل، السياسة الخارجية، العلاقات الدولية، العلاقات الدبلوماسية، النظم السياسية، الأحوال السياسية، التعاون السياسي، التعاون الاقتصادي، التفرقة العنصرية، الاستعمار الاستيطاني، الاستيطان الإسرائيلي |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/202487 |

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

# جنوب إفريقيا واسرائيل
## علاقة خاصة

الدكتور سميح فرسون

بحلول نهاية ١٩٧٣ كانت اكثر من ٣٠ دولة افريقية قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل . وكانت سبع منها قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية بين حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ وتشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٣ ، بينما فعلت ذلك الدول الباقية خلال حرب اكتوبر العربية ـ الاسرائيلية للعام ١٩٧٣ ومنذ ذلك الحين، ووحدها جنوب افريقيا، مع ليسوتو وسوازيلاند ومالاوي ، وجميعها تعتمد على جنوب افريقيا ، حافظت على صلاتها الدبلوماسية مع اسرائيل . ومنذ تأسيس منظمة الوحدة الافريقية كان التضامن الافريقي الناشىء قد سبب قطع جميع العلاقات الدبلوماسية والثقافية وغيرها لعدد من الدول مع الدولتين الاستعماريتين البرتغال ( قبل الثورة ) وجنوب افريقيا*. وآخر عمل من أعمال قطع العلاقات الدبلوماسية بالجملة مع اسرائيل قامت به الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية ، لا يعكس التضامن الافريقي فحسب بل يعكس ، كذلك ، نظرتها الى اسرائيل كدولة استعمارية عدوانية في الشرق الاوسط . وكون جنوب افريقيا والدول المعتمدة عليها وحدها حافظت على علاقاتها باسرائيل انما يزيد من تعزيز هذه الرؤية . وبالفعل ، في اذار ( مارس ) ، ١٩٧٤ ، تحركت حكومة اسرائيل لتعزز صلاتها باعلانها أنها في سبيل رفع مستوى بعثتها في جنوب افريقيا الى سفارة . وأشارت جنوب افريقيا هي كذلك الى نيتها رفع مستوى تمثيلها في اسرائيل الى مستوى سفارة .

* لم يقم اي بلد افريقي علاقات مع حكومة روديسيا العنصرية البيضاء بعدما اعلن ايان سميث الاستقلال من جانب واحد .

خلال فترة حرب اكتوبر ، كما في حرب حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ ، علق وزير مالية جنوب افريقيا، الدكتور ديدريكس ، فورا وعلى وجه التخصيص جميع القيود على تصدير الرأسمال الى اسرائيل . وجمع نحو ثلاثين مليون دولار وارسل المبلغ الى اسرائيل . ومع أن الدولة كانت محايدة رسميا في ما يتعلق بحرب الشرق الاوسط ، فان وزير الدفاع بوثا قال لاجتماع في بورت اليزابيث ، بجنوب افريقيا ، ان جنوب افريقيا ستجد طرقا « ضمن قدرتنا ، ودون اعلان حرب » لمساعدة اسرائيل . ومضى يقول : « ثمة شعور عميق نحو اسرائيل من جانب الوف الجنوب افريقيين في معركتها ضد قوى العسكرية الشيوعية التي تشكل خطرا علينا ايضا » ( **فري بالستاين** ، كانون الاول ـ ديسمبر ، ١٩٧٤ ، ص ٩ ) وقدرت احدى صحف جنوب افريقيا ان نحو ١٥٠٠ شخص ذوي صلات جنوب افريقية اشتركوا في حرب اكتوبر كجزء من القوات المسلحة الاسرائيلية . وتطوع عدد كبير من الجنوب افريقيين للمشاركة في الجهود العسكرية وغير العسكرية في اسرائيل . وبالاضافة الى ذلك تلاحظ الروايات الصحافية ان بعض الاعتدة العسكرية الجنوب افريقية ارسلت الى اسرائيل خلال الحرب . « ابان الحرب ، اعلنت الحكومة المصرية انها اسقطت طائرة ميراج تملكها دولة أجنبية على جبهة السويس ، واشارت مصادر عسكرية في القاهرة الى ان هذه الدولة هي جنوب افريقيا . وفي حين ان كلا من جنوب افريقيا واسرائيل نفى التقرير ، فقد صرح رئيس جمهورية زامبيا ، كاوندا ، في اذار ( مارس ) ١٩٧٤ ان جنوب افريقيا لم ترسل طائرات ميراج لمساعدة اسرائيل ولكسب ( الخبرة من أجل حروب مقبلة )

فحسب ، بل ان اسرائيل ارسلت ضابطا برتبة لواء الى جنوب افريقيا لتدريب القوات الجنوب افريقية على مقاومة الفدائيين » ( **فري بالستين** ، ديسمبر ١٩٧٤ ، ص ٩ ) .

ان تبادل الزيارات للمسؤولين رفيعي المستوى بين البلدين أمر واضح وبارز . فخارج اميركا الشمالية وبعض بلدان شمال غربي اوروبا ، نلاحظ أن جنوب افريقيا هي البلد الوحيد الذي يتلقى مثل هذه الزيارات الرفيعة المستوى . وهي مماثلة بنوع خاص لنمط الزيارات بين اسرائيل والولايات المتحدة . قبل حرب اكتوبر ذهب اسحق رابين وحاخام اسرائيل الاكبر في زيارات «خاصة» لجمع الاموال الى جنوب افريقيا في حين جاء وزير داخلية جنوب افريقيا كوني مولدر الى اسرائيل في « زيارة خاصة » . كذلك زار اسرائيل في ايلول ( سبتمبر ) ، ١٩٧٣ ، الدكتور أ. رودي ، ناظر اعلام جنوب افريقيا . بيد أن اهم زيارة كانت زيارة الجنرال فان دن برغم ، رئيس مكتب امن الدولة ( المسمى اختصارا بوس ) ، وهو جهاز المخابرات الشهير بجنوب افريقيا ، وقد كشف النقاب عن هذه الزيارة في آب ( اغسطس ) ، ١٩٧٣ . وبعد حرب اكتوبر اشتمل الموكب ، بالاضافة الى موظفين تجاريين اسرائيليين رفيعي المستوى ، على الجنرال موشي دايان تلبية لدعوة « الاتحاد الصهيوني لجنوب افريقيا » و« مؤسسة جنوب افريقيا » ، وهي منظمة العلاقات العامة الخاصة التي خلقها رجال اعمال جنوب افريقيون لتحسين صورة بلدهم في الخارج . وفي اكتوبر ، ١٩٧٤ ، قام الجنرال حاييم هيرتزوغ ، الرئيس السابق لجهاز المخابرات الاسرائيلي ، بزيارة أيضا كضيف على حكومة جنوب افريقيا . في الماضي ، عندما كانت اسرائيل ما تزال تحتفظ بعلاقات عديدة مع دول افريقية سوداء ، كان الزائرون الاسرائيليون البارزون يجيئون الى جنوب افريقيا ، نظريا ، كضيوف على المنظمات الصهيونية المحلية ، وهي « حقيقة » حافظت بتهذيب على ابتعاد معين عن نظام التفرقة العنصرية الذي يشجبه الجميع . ويبدو ان البلدين تخليا عن هذا الوهم الدقيق والمؤدب فيما عززا صلاتهما سياسيا واقتصاديا واستراتيجيا .

من الناحية الاقتصادية نوعت اسرائيل وجنوب افريقيا ووسعتا نطاق علاقاتهما في العهد اللاحق لحرب اكتوبر . مثال ذلك ان غرفا تجارية جنوب افريقية — اسرائيلية اقيمت في اسرائيل وجنوب افريقيا . وقد صار التوظيف الاقتصادي السري للرأسمال الجنوب افريقي في اسرائيل معلوما أخيرا ( اكتوبر ، ١٩٧٤ ) مع كشف النقاب عن فضيحة تحيط بانهيار احدى شركات الاستثمار ، وهي اسرائيل كوربوريشن ( **تقارير مريب** MERIP العدد ٣٢ ) . وتشتمل المشروعات الجنوب افريقية الاخيرة على تمويل مجمع مكاتب وتسويق يتألف من ٢٦ طبقة في تل أبيب سيسمى « بيت جنوب افريقيا » ، ومجمع بتروكيميائي في حيفا ، ومجمع مصانع قرب تل أبيب ، والمنطقة التجارية الحرة التي يجري تشييدها في ايلات . وفي ايار ( مايو ) ١٩٧٤ رفع الحد الاعلى للتثمير المباشر من قبل الشركات الجنوب افريقية في اسرائيل من سبعة ملايين راند الى عشرين مليون راند . ومن الناحية الاخرى أعلنت شركة صناعات كور الاسرائيلية عن خطط لتأسيس مصنع مواد كيميائية زراعية في جنوب افريقيا بالشراكة مع شركة جنوب افريقية وبمساعدة مالية من حكومة جنوب افريقيا. ولعل أفضل مثل على المصالح الاقتصادية المتبادلة هو تصريح بنيامين فينشتاين ، الجنوب افريقي الذي اشترك في « مؤتمر المليونيريين » في حزيران ( يونيو ) ، بالقدس ، وقال ان الشركات الجنوب افريقية ستوظف اموالها في اسرائيل بغية صنع أقمشة قطنية مطبوعة يصار الى تصدير جزء منها الى الدول الافريقية المستقلة بغية تجنب المقاطعة الافريقية لسلع جنوب افريقيا . وقال أيضا : « ان اسرائيل هي بمثابة قاعدة مفيدة جدا للشركات الجنوب افريقية التي لا يمكن ان تورد مباشرة الى افريقيا » ( **فري بالستاين** ، ديسمبر ، ١٩٧٤ ، ص ٩ ) . وبالاضافة الى ذلك تنظر المصالح التجارية الجنوب افريقية الى اسرائيل على انها قاعدة باب خلفي الى السوق الاوروبية ، خصوصا اذا لم يكن باستطاعة جنوب افريقيا ان تتوصل بالتفاوض الى اتفاق مباشر .

الامثلة الانفة الذكر لا بد وان تكون بالضرورة وصفا انتقائيا وجزئيا جدا للعلاقة بين جنوب افريقيا واسرائيل . كما أشار س. ل. سلزبيرغر في **النيويورك تايمز** ، فان الدولتين لاسباب كثيرة

تتعمدان التقليل من شأن علاقتهما ونطاقها ( **النيويورك تايمز** ، ٣٠ نيسان ــ ابريل، ١٩٧١ ).

وهكذا ، خلافا لجميع العلاقات بين اسرائيل والدول الافريقية ، فان نمط وطبيعة العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا يشيران الى علاقة « خاصة » بين البلدين . وهي مماثلة في الجوهر للعلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة واسرائيل ، علما بأن هذه الاخيرة هي على نطاق اوسع بكثير. وكما هي الحال مع الولايات المتحدة واسرائيل ، فان صلات وثيقة حميمة تربط الشعب بالشعب ، والمنظمة بالدولة ، والدولة بالدولة تقوم بين اسرائيل وجنوب افريقيا . ان العلاقة الخاصة بين اسرائيل والولايات المتحدة مدعمة دعما حسنا بالوثائق وقد أكدها بصورة دراماتيكية أعظم جسر جوي لنقل الاسلحة الحربية في تاريخ العالم ابان حرب اكتوبر ١٩٧٣ . وقد احيطت العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة واسرائيل بابحاث مستفيضة وليس من الصعب شرح قواعدها . ولكن ما هي قواعد العلاقة الخاصة بين اسرائيل وجنوب افريقيا ؟

قد يكون من السهل نسبيا انجاز وضع قائمة بالروابط العديدة بين اسرائيل وجنوب افريقيا . بيد أن تفصيل هذه العلاقات ببساطة دون محاولة فهم أساسها لا يفي بالغرض . ولهذا الامر دلالة خاصة اذ ان الحزب الوطني لجنوب افريقيا ، وهو الحزب الحاكم منذ ١٩٤٨ ، والذي كان زعماؤه رؤساء وزراء ذلك البلد ، له سجل باللاسامية وبالمشاعر الموالية للنازية ( ر. ستيفنز، وأ. هيبل ، ١٩٦٩) . وكانت السياسات اللاسامية الوقحة للحزب الوطني التي استمرت حتى عام ١٩٤٥ يقودها خصوصا الدكتور هـ. ف. فيرفورد وزميله الحميم وسلفه الدكتور د. ف. مالان . ومع هذا فقد كانت حكومة مالان الجنوب افريقية هي التي منحت دولة اسرائيل الجديدة اعترافا «شرعيا»* ( ر. ستيفنز، ١٩٧٣، ص ٥٤ ) عام ١٩٤٨ وكانت زيارة مالان لاسرائيل في حزيران ( يونيو ) ، ١٩٥٣ « المناسبة الوحيدة [ اي الاولى ] التي قام فيها رئيس حكومة اوروبية [ كذا ] بزيارة اسرائيل وهو ما يزال في منصبه » ( ب. ليتفينوف ، استشهد به الدكتور جورج طعمه ، ١٩٧٣ ، ص ٢٠ ــ ٢١ ) . هذا التغيير الكامل والمفاجيء في مواقف الزعماء الجنوب افريقيين لا يمكن ادراكه كذلك الا عن طريق فهم الاصول التاريخية والبنية الراهنة للبلدين .

وهكذا ، لكي نجيب عن السؤال المتصل بأسس العلاقة الخاصة بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، علينا ان نستقصي الوجوه التاريخية والبنيوية والايديولوجية في اطار الترابطات المباشرة وغير المباشرة . والفرضية العامة لهذه الدراسة هي ان طبيعة العلاقة بين البلدين هي نتيجة الاصول والادوار والاختبارات المماثلة التي ادت الى بنى اجتماعية معاصرة مماثلة والى علاقة مفيدة للبلدين موضوعة في نطاق الامبريالية المعاصرة .

## الخلفية التاريخية

ان اصول الدولتين متشابكة في التاريخ الامبريالي البريطاني للقسم الاول من القرن العشرين . كانت هذه هي فترة التوسع الامبريالي الاوروبي والاستيطان الاستعماري . وكانت بريطانيا مهتمة بنوع خاص في تأمين طريقي الوصول الرئيسيين الى الاقطار الخاضعة لسلطانها الامبريالي في شبه القارة الهندية والى الصين . غير ان سلامة هذين الطريقين كانت مستحيلة دون السيطرة على المنطقتين الاستراتيجيتين : رأس الرجاء الصالح في جنوب افريقيا وقناة السويس والطرق الاخرى في المشرق العربي . وحتى قبل افتتاح قناة السويس كانت المصالح الاستراتيجية البريطانية في المنطقة بالغة الاهمية . فكما لاحظ الحاكم السابق لجنوب استراليا ، الكولونيل ج. غولر عام ١٨٥٣ : « لقد وضعت العناية الالهية سوريا ومصر في عين الفجوة بين انكلترا واهم مناطق تجارتها الاستعمارية والاجنبية ــ الهند ، الصين ، الارخبيل الهندي واستراليا ... وهي بحاجة ملحة جدا لاقصر خطوط المواصلات واكثرها سلامة الى الاقطار التي تملكها الان ... ان دولة اجنبية معادية وقوية في اي منهما ، لن تلبث ان تهدد بالخطر التجارة والمواصلات البريطانية عن طريق الاخرى » ( استشهد به جورج جبور ، ١٩٧٠ ) .

كذلك في ١٨٥٣ كتب الكولونيل س. هـ.

---

* كانت حكومة سمطس قبل ذلك قد اعترفت بدولة اسرائيل الجديدة اعتراف الامر الواقع .

تشيرتشل ، وهو ضابط اركان الحملة البريطانية الى سوريا ضد محمد علي المصري يقول : « ... لا بد ان يكون جليا لكل عقل انكليزي ، لاسباب واضحة ، انه اذا اريد دعم سيادة انكلترا على الشرق ، فيجب جعل سوريا ومصر تخضعان لها الى حد ما ، او لنفوذها ... وانه عندما لا تعود فلسطين تركية ، يجب اما ان تصير بريطانية او ان تؤلف جزءا من دولة مستقلة جديدة ... تكون قادرة على تعزيز الهدف العظيم الذي ستوجد من اجله ... وهو خلق وانماء ودعم علاقات تجارية في الشرق » ( هـ. س. تشيرتشل ، استشهد به جبور ، ١٩٧٠ ، ص ٢٢ — ٢٣ ) .

كان الاستعمار الاستيطاني قد سبق ان برز كآلية اوروبية لفتح البلدان الافريقية والاسيوية للتسلل الاقتصادي والسياسي . وابتدأ الاستيطان الاوروبي في جنوب افريقيا منذ عام ١٦٥٢ عندما اسست شركة الهند الشرقية الهولندية محطة بحرية في رأس الرجاء الصالح . وسرعان ما اتسعت هذه المحطة البحرية متحولة الى مستعمرة من المزارعين الذين اغتصبوا الاراضي الاهلية ودفعوا الى الوراء او ابادوا افراد شعبي البوشمان والهوتنتوت الاهليين . ومع انحطاط هولندا وصعود بريطانيا ، احتلت انكلترا المنطقة في اوائل القرن التاسع عشر . واستمر التوسع الاستيطاني معظم القرن التاسع عشر الى ان عززت الحرب بين الانكليز والبوير السيطرة البريطانية عام ١٩١٠ . واثناء ذلك تم استعمار الافريقيين المحليين ، الذين يسمون الان البانتو ، واغتصاب اراضيهم .

وفي المشرق العربي برزت الدعوات الى الاستيطان الاوروبي في القرن التاسع عشر . فالدكتور طوماس كلارك كتب عام ١٨٦١ ملاحظا : « اذا كانت انكلترا ... تعتمد على تجارتها بوصفها حجر الزاوية لعظمتها ، واذا كان احد اقرب وافضل الطرق لتلك التجارة هو عبر محور القارات العظيمة الثلاث ، واذا كان اليهود في الاساس شعبا ... تجاريا ، فأي شيء طبيعي اكثر من ان يصار الى زرعهم على طول الطريق الرئيسية العظيمة للتجارة القديمة » . ( الدكتور كلارك ، استشهد به جورج جبور ، ص ٢٣ ) .

وكتب مسؤولون بريطانيون امثال اللورد شافتسبري في ١٨٧٦ ، يضيفون التصديق على الحجة : « ستصير سوريا وفلسطين قبل مضي وقت طويل في غاية الاهمية ... فالبلد يريد الرأسمال والسكان . وبامكان اليهود ان يعطوه كلا الامرين . أوليس لانكلترا مصلحة خاصة في تشجيع هذه الاعادة الى الوضع السابق ؟ ... فان امبراطوريتها الممتدة من كندا في الغرب الى كالكوتا واستراليا في الشرق الجنوبي ستقطع الى نصفين ... عليها ان تحتفظ بسوريا لنفسها ... وان تعزز الصفة القومية لليهود وتساعدهم ... ليعودوا كقوة تخمير الى بلدهم القديم ؟... فالى انكلترا اذا ، وبطبيعة الحال ، يعود دور تأييد استيطان اليهود في فلسطين » ( استشهد به جورج جبور ، ص ٢٣ ) .

غير انه لم يبرز برنامج عملي لاستيطان فلسطين الا عند صعود الصهيونية ، وهي حركة سياسية بورجوازية ليهود اوروبا . وكانت الصهيونية غارقة كليا في الايديولوجيا الاستعمارية لذلك الزمن . وقد ضرب الفلاسفة والساسة اليهود الصهاينة على نفس الوتر . وكتب موسس هيس ، احد اوائل المفكرين الصهيونيين ، يقول : « بعد انجاز العمل على قناة السويس ، فان مما لا ريب فيه ان مصالح التجارة العالمية ستتطلب تأسيس مستودعات ومستوطنات على طول الطريق الى الهند والصين، مستوطنات من شأنها ان تحول الاحوال المهلهلة والفوضوية للبلدان الواقعة على طول هذه الطريق الى دول شرعية ومهذبة . ولا يمكن ان يحدث هذا الا تحت الحماية العسكرية للدول الاوروبية » . وقال هس مخاطبا اليهود : « ان دعوة عظيمة محفوظة لكم : ان تكونوا طريق مواصلات حية الى الشعوب البدائية لاسيا ... يجب ان تكونوا الوسطاء بين اوروبا واسيا القصوى ، وتفتحوا الطرق المفضية الى الهند والصين — تلك المناطق التي لا بد من فتحها للمدنية في النهاية » ( م. هيس ، استشهد به س. هالبروك ، ١٩٧٤ ، ص ٢٢ ) .

وهيرتزل ، مؤسس الحركة الصهيونية التي كان هدفها استعمار فلسطين ، لاحظ كذلك ان مستعمرة يهودية « سيكون لها فائدة اخرى [ للدول الاوروبية ] في الزيادة الهائلة لتجارة صادراتها ؟

فبما ان اليهود المهاجرين ( هناك ) سيكونون لفترة طويلة مقبلة معتمدين على المنتجات الاوروبية ، فانهم بالضرورة سيستوردونها »* ( اسشهد به في س. هالبروك ، ١٩٧٤ ، ص ٢٣ ) .

وباختصار فان « الاستعمار اليهودي لفلسطين سيقدم للامبراطوريات الاوروبية مخفرا اماميا مخلصا لحراسة الطرق الى الشرق ... لكبت القومية العربية ... ويزود اوروبا بالمواد الخام والاسواق » ( س. هالبروك ، ١٩٧٤ ، ص ٢٢ ).

وبعدما تحول هيرتزل من بلد اوروبي باني للامبراطوريات الى بلد اخر طالبا المساعدة والدعم في محاولة استعمار فلسطين ، وقع اختياره اخيرا على بريطانيا التي كانت اكثر استجابة . وفي البداية استجدى مساعدة واهتمام سيسيل رودس رئيس وزراء مستعمرة الكاب في العقد العاشر من القرن التاسع عشر والمغامر الافريقي الذي ساعد في استعمار بريطانيا لروديسيا وجنوب افريقيا . فرفض رودس . غير ان الامر ترك لخليفة هيرتزل في قيادة الحركة الصهيونية العالمية ، حاييم وايزمان ، ليوجد الالتزام الامبريالي البريطاني بالبرنامج الصهيوني ، الذي توسط له ودعمه بقوة الجنرال ج. س. سمطس ، عضو الحكومة الامبريالية البريطانية ورئيس وزراء جنوب افريقيا. ويلاحظ ر. ستيفنز : بين القرارات المختلفة للعالم الغربي التي اثرت في حيوات ومصير شعوب ما يسمى بالعالم الثالث ، ما من قرار كشف بمزيد من الوضوح عن عين جوهر الاستعراق الغربي** او اظهر بصورة حاسمة اكثر ، طاقة العالم الغربي على تحويل دفع قوته الاساسية وجعلها شرعية تحت ستار القانون الدولي والاخلاقية ، اكثر من قرارين تم التوصل اليهما في لندن عام ١٩٠٩ وعام ١٩١٧ ، الاول يسمى قانون الاتحاد لجنوب افريقيا والثاني اعلان بلفور ... فلسطين وجنوب افريقيا — بلدان يبعد احدهما عن الاخر مسافة نحو ٢٥،٠٠٠ ميل لكن كلا منهما موضع اهتمام نفس السلطة ، وضحي بكل منهما باسم الشعوب الغربية والمصالح الامبريالية البريطانية وقد رتب تفاصيل التضحية نفس رجال الدولة ... في التحليل الاخير ربما كان يمكن تعقب قرار بريطانيا التضحية بحقوق الشعوب المحلية في جنوب افريقيا وفلسطين الى الاعتبارات الامبريالية . فالذي سيطر على تفكير الحكومة البريطانية عام ١٩٠٩ كان ان قناة السويس يمكن ان تغلق في وجه السفن البريطانية في زمن الحرب، وفي تلك الحال سيستعيد طريق رأس الرجاء الصالح اهميته التجارية والاستراتيجية السابقة ، وستكون جنوب افريقيا ودية شيئا ثمينا وحيويا . وفي اعقاب تفكك الامبراطورية العثمانية اعتبرت السيطرة البريطانية على فلسطين ، بمستوطنيها الصهاينة ، افضل ضمانة على ان طريق السويس لن تحرم بريطانيا العظمى منها ابدا في الواقع ... وكان سمطس من المؤيدين الاشداء للسيطرة البريطانية والاستيطان الصهيوني في فلسطين ، وكانت صداقته مع حاييم وايزمان ستكون اهم صداقة في حياته . وبالفعل كان بسبب سمطس بقدر ما كان بسبب اي شخص ان نظام الانتداب نفسه برز وليس امرا عديم الاهمية ان سمطس لعب دورا بارزا في تحويل ملكية كل فلسطين وجنوب افريقيا من شعب الى شعب بموجب ذلك النظام ( ر. ستيفنز ، ١٩٧١ ).

لم يكن سمطس ووايزمان حليفين سياسيين في اطار التوسع الامبريالي البريطاني فحسب ولكنهما صارا صديقين حميمين ايضا . فقد اصبح سمطس اول رئيس وزراء لاتحاد جنوب افريقيا في حين اصبح وايزمان اول رئيس دولة لاسرائيل . وثمة اسباب كثيرة للصداقة التي ربطت سمطس ووايزمان ولتبني سمطس للصهيونية . « ليس اقل هذه الاسباب اعتراف وايزمان الصريح بان الصهيونية مرتبطة ارتباطا طبيعيا وعضويا بالمصالح الامبريالية البريطانية » ( ر. ستيفنز ، ١٩٧٣ ، ص ٣٦ ) . ويكتب مؤرخ اعلان بلفور ، لينارد شتاين : « لدى عرض الصهاينة قضيتهم على البريطانيين ، لن يقتربوا منهم كمتوسلين ، ولا حتى

---

* جادل هيرتزل بأن الصهيونية ستساعد في حل بعض مشكلات الرأسمال — اليد العاملة لاوروبا : « لموازنة هذه الحالة ، تستطيع حركتي المساعدة على جبهتين : عن طريق تعريف البروليتاريا اليهودية الفائضة ، وعن طريق استخدام الرأسمال الدولي » ( ث. هيرتزل ، استشهد به س. هالبروك ، ١٩٧٤ ، ص ٢٥ ) .

** Western Ethnocentrism

كمتوسلين لشيء يبدو انسجامه واضحا مع المصالح البريطانية . وكما كتب [ اي وايزمان ] لاسرائيل زانغويل في العاشر من تشرين الاول ( اكتوبر ) ، ١٩١٤ ، فقد اعتقد انه من البديهي ان انكلترا تحتاج الى فلسطين من اجل حماية طرق الوصول الى مصر ، وانه اذا ما فتحت فلسطين امام الاستيطان اليهودي فانه سيكون لانكلترا حاجز فعال ، وسيكون لنا نحن بلد » ( ل. شتاين ، ص ١٤ — ١٥ ) .

احد الاسباب الاخرى التي جعلت الصهيونية تروق لسمطس كان ايديولوجيا ، فهي تسوغ استعمارها ، جزئيا ، بنفس الطريقة التي سوغ بها الاوروبيون توسعهم « التمديني » ( انظر ح. وايزمان ، ١٩٢٩ — ١٩٣٠ ، استشهد به ر. ستيفنز ، ١٩٧٣ ، ص ٣٧ ) . وعلى الصعيد المحلي اعتبر سمطس اليهود الجنوب افريقيين جزءا مهما من الوحدة البيضاء في الدفاع عن « المدنية » الجنوب افريقية ، اي البيضاء .

كان الامر ذا الدلالة في نمو الصهيونية ونجاحها هو دور سمطس في صياغة اعلان بلفور والدفاع عنه . ويقول ل. شتاين ان سمطس « يجب ان يعتبر بين مهندسي الاعلان » ( ل. شتاين ، ص ٤٨٢ ) . فقد كان عضو الحكومة الحربية التي اصدرت الاعلان الشهير . وقد لاحظ الجنرال سمطس نفسه اسهامه المهم في صياغة اعلان بلفور بعدما ساعد في وضع قانون اتحاد جنوب افريقيا . بيد ان اهم اسهاماته في قضية الصهيونية كانت في ممارسة نفوذه في الدفاع الشديد عن فكرة وطن قومي ودولة يهوديين في فلسطين . ويفصل ر. ستيفنز هذا النشاط السياسي والدبلوماسي في الخلفية والعلاقة غير الاعتيادية مع وايزمان من عام ١٩١٧ وحتى فترة مداولات الامم المتحدة ، وقرار تقسيم فلسطين ، وتأسيس دولة اسرائيل في ١٩٤٨ . ويبدو ان سمطس ظل احد اشد انصار البرنامج الصهيوني طوال الفترة التي تخللت الحربين العالميتين عندما تمكنت المقاومة الشعبية العربية الفلسطينية من حمل الانتداب البريطاني على نقض وتعديل موقتين للسياسات البريطانية المؤيدة للصهيونية ( ر. ستيفنز ، ١٩٧٣ ) . وبناء على تعليمات سمطس ، لعب الوفد الجنوب افريقي في الامم المتحدة دورا حاسما في نجاح خطة التقسيم التي ادت الى تأسيس دولة اسرائيل .

قبل موت سمطس احتفل الصهيونيون الجنوب افريقيون ومسؤولو الدولة الاسرائيلية واثنوا بحماسة على اسهامه الشخصي واسهام حكومة جنوب افريقيا . وفي مأدبة اقيمت اعرابا عن التقدير والاعتراف بالجميل ، اعلن سمطس قائلا: « ما من بلد بالنسبة لسكانه بذل ، ماديا ، من اجل الوطن القومي [ الصهيوني ] اكثر مما بذلت جنوب افريقيا وفقا لامكاناتها » . وقال انه يشعر بسرور خاص عندما يفكر ان اخر عمل قام به كرئيس لوزراء الاتحاد كان الاعتراف بدولة اسرائيل . « وقد وضع ذلك اسرائيل على الخريطة ، ولكنه وضع جنوب افريقيا ايضا على الخريطة » ( استشهادات من **جويش كرونيكل** الجنوب افريقية ، اوردها ر. ستيفنز ، ١٩٧٣ ، ص ٥٦ ) .

### اسرائيل وافريقيا : تعاون وتناقض

ان احد اسباب رغبة جنوب افريقيا وخصوصا رغبة اسرائيل في التقليل من شأن علاقتهما ، كما لاحظ سالزبرغر ، كان مرتبطا بالحقائق الجديدة للقارة الافريقية . ففي اواخر الخمسينات ، ولدت عشرات من الدول الافريقية المستقلة الجديدة . كانت هذه الدول امم العهد اللاحق للاستعمار البالغة الوعي والحساسية والريبة ازاء الدول الاوروبية وانظمة الاقلية البيضاء العنصرية . وكانت تنتقد وتعادي بنوع خاص نظام التفرقة العنصرية لجنوب افريقيا . والى ذلك ، كانت دول افريقية تنضم الى منظمة الامم المتحدة وترجح الميزان في الجمعية العامة لتلك المنظمة لمصلحة العالم الثالث ، وبخاصة الدول الافرو — اسيوية. ومنذ الصد الافرو — اسيوي لاسرائيل في مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ ، شنت اسرائيل جهدا سياسيا — دبلوماسيا عاقد العزم لاقامة صلات متعددة الوجوه مع الدول الافريقية المستقلة حديثا . وفي فترة قصيرة صارت هذه الصلات متوترة بسبب رفض اسرائيل الاشتراك بصدق واخلاص في نضال افريقيا السوداء ضد نظام التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا . وحاولت اسرائيل القيام بعملية توازن خطرة موجهة نحو المحافظة على علاقتها الخاصة بجنوب افريقيا وعلاقات متعددة الوجوه مثمرة مع دول افريقيا السوداء . وتعذر الدفاع

عن هذا السبيل بصورة متزايدة لا سيما في اطار منظمة الوحدة الافريقية وبنوع خاص بعدمااتضحت سياسات اسرائيل المؤيدة للامبريالية والمناوئة للثورات . كانت هذه الوجوه بين العوامل الخلفية المسهمة في القطع الجماعي للصلات الرسمية بين الدول الافريقية واسرائيل وتعزيز الروابط الاسرائيلية — الجنوب افريقية ابان حرب اكتوبر، ١٩٧٣ ، وبعدها . فلننظر في هذه التطورات بمزيد من التفصيل .

**الامتداد الاسرائيلي في افريقيا** : ان اسباب الجهد الاسرائيلي لاقامة علائق مع افريقيا الواقعة جنوب الصحراء الكبرى ، وهي الاسباب التي حللها كل من المتعاطفين مع اسرائيل ونقادها ، تشتمل على اعتبارات دبلوماسية واستراتيجية واقتصادية . فهؤلاء المحللون يقولون ان اسرائيل حاولت ان تخرج من العزلة الاستراتيجية والتطويق اللذين فرضهما عليها العالم العربي المعادي ، وان تنمي اسواقا لسلعها وخدماتها بغية خفض او تحطيم المقاطعة الاقتصادية العربية ، وان تجند التأييد الدبلوماسي الافريقي ، وان تجمع الاصوات الى جانبها في الامم المتحدة المتغيرة بسرعة ( انظر ل. لوفر ، ١٩٦٧ ، وعواطف عبد الرحمن ، ١٩٧٤ ) .

نددت مقررات مؤتمر باندونغ باسرائيل واكدت حقوق الشعب الفلسطيني . فأثار ذلك القلق الاسرائيلي في حالة دولية متغيرة . واعتبر راسمو السياسة الاسرائيلية ان امن الدولة بات في خطر. وهنا يجب ان تكفي الاشارة الى تصريح غولدا مئير ، وزيرة الخارجية آنذاك ، في الكنيست لدى عودتها من رحلة الى افريقيا عام ١٩٥٨ : لا نستطيع ان نقصر صداقتنا على اوروبا واميركا خصوصا وان ثلثي اعضاء الامم المتحدة هي بلدان نامية . ولذا من الطبيعي ان تسعى اسرائيل الى كسب تأييد بقية العالم ، ان هدف علاقاتنا بالدول الجديدة هو تثبيت وتعزيز مركزنا في العالم الجديد ( كتبت عن هذا التصريح **الجيروساليم بوست** ، ١ نيسان — ابريل ، ١٩٥٨ ) . وكذلك الامر ، قال ديفيد بن غوريون عام ١٩٦٠ في خطاب بالكنيست ان الدول الافريقية ليست قوية ولكن اصواتها في المنظمات الدولية مساوية في قيمتها لاصوات الدول الكبيرة . وان هدف الصداقة الاسرائيلية — الافريقية هو في اسوأ الاحوال تحييد افريقيا عن النزاع العربي — الاسرائيلي ، وفي أفضل الاحوال تأمين الدعم الافريقي للموقف الاسرائيلي ( **الايكونوميست** ، ٢٧ آب — اغسطس، ١٩٦٠ ) . والى ذلك فان **الحولية الاسرائيلية** (The Israel Yearbook) ( ١٩٦٥/١٩٦٠ ، ص ٣٩ ) ، استشهدت بقول بن غوريون ان الامن الوطني هو النقطة المركزية التي ترتكز حولها السياسة الخارجية الاسرائيلية . واحد وجوه هذه السياسة هو اقامة علاقات ودية مع جميع الدول وخصوصا في اسيا وافريقيا .

قدمت اسرائيل نفسها لافريقيا بوصفها بلدا صغيرا لا ينتمي الى الغرب الرأسمالي ولا الى الشرق الشيوعي ، وبوصفها معتمدة على نفسها، مما يجعلها نموذجا للتطور والتقدم السريعين ، وكمثال على الديموقراطية والاشتراكية الحقيقيتين ( ل. لوفر ، و أ. ريفكين ، ١٩٦١ ) . وكانت تعزز هذا الادعاء **الايديولوجي** حساسية البلدان الافريقية المستقلة حديثا ازاء مستعمريها الاوروبيين السابقين . وهكذا تحولت هذه البلدان بسهولة اكبر نحو اسرائيل من اجل الرأسمال والطاقة البشرية الماهرة والمعونة الفنية. وفي بعض الحالات سهلت مركز اسرائيل الاتفاقيات القنصلية والتجارية القائمة والموروثة من العهد الاستعماري ( اسعد عبد الرحمن ، ص ٣٥ ) . وكان هذا التطور من السرعة بحيث انه صار لاسرائيل ، بحلول ١٩٦٣ ، عدد من البعثات الدبلوماسية في افريقيا يفوق عدد البعثات الدبلوماسية لجميع البلدان الاخرى باستثناء بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة .

بين عام ١٩٦٠ واوائل السبعينات ، اقامت اسرائيل علاقات قوية وواسعة النطاق مع افريقيا الواقعة جنوب الصحراء الكبرى . والجدولان الاحصائيان ١ و ٢ في الملحق ادناه يلخصان طبيعة هذه العلاقات ونطاقها. ولن ننظر هنا الا في الوجوه البارزة . فالعلاقات التجارية بين اسرائيل والقارة الافريقية ارتفعت من لا شيء تقريبا في اواخر الخمسينات الى ٧٢ مليون دولار في ١٩٧١ . وارتفعت الصادرات الاسرائيلية من ١٠،٢٥ ملايين دولار في ١٩٦٠ الى ٤٧،٢٥ مليون دولار في ١٩٧١. الا ان الواردات الاسرائيلية من افريقيا لم ترتفع

الا بصورة معتدلة في الفترة نفسها ، من ١٨ مليون دولار الى ٢٥،٥ مليون دولار . ولا بد من الملاحظة ان جنوب افريقيا لها اكبر حصة من هذه التجارة : ٨ر٠٨٠ر٠٠٠ دولار من الواردات الاسرائيلية من افريقيا من اصل مجموع ٢٥ر٢١١ر٠٠٠ دولار ، او ١ر٣٢٪ ، و ٩ر٣٩٨ر٠٠٠ دولار في الصادرات من مجموع ٤٧ر٤٢١ر٠٠٠ دولار الى افريقيا ، او ١٩ر٨٪ . وتنبغي الاشارة ايضا الى ان اقوى العلاقات التجارية بين اسرائيل وافريقيا مالت الى ان تكون مع دول جنوب الصحراء الكبرى الاوثق ارتباطا وتحالفا مع المصالح الرأسمالية الغربية : جنوب افريقيا ، ليبيريا ، اثيوبيا ، جمهورية افريقيا الوسطى ، كينيا واوغندا . هذه الارقام التجارية لا تعكس الى حد كاف نطاق المصالح الاقتصادية الاسرائيلية في افريقيا . فمن الامور المهمة ايضا : نشاطات الشركات الصناعية والهندسية والاستشارية الاسرائيلية التي يبلغ مجموع عقودها مئات الملايين من الدولارات . مثال ذلك ان سوليل بونيه ، شركة البناء شبه العامة، كان لها في ١٩٧٠ عقود افريقية بقيمة ٤٤ مليون دولار . وفيريد ، شركة انماء موارد المياه ، كان لها عقود بقيمة نحو ١٠٠ مليون دولار بحلول ١٩٧٠ وكانت تستخدم نحو ١٠ الاف افريقي في نيجيريا والنيجر وسيراليون وكينيا . وتشتمل الشركات الاخرى التي لها مصالح واستثمارات في افريقيا على مشروعات كيميائية ، وللانماء الزراعي ، وللتصميم الصناعي وللاسبستوس — الاسمنت ( المصادر هي نشرات الحكومة الاسرائيلية وغيرها من المعلومات المجموعة في مركز الابحاث الفلسطينية ، في بيروت ، لبنان ) .

ربما كانت اكثر الجهود الاسرائيلية نجاحا هي الاشتراك في شركات ومشروعات افريقية — اسرائيلية مشتركة . فبالاضافة الى الارباح ، كانت هذه المشروعات تستخدم ٥٠٠ خبير اسرائيلي على متوسط سنوي . وبين عام ١٩٥٧ وعام ١٩٦٣ كانت اسرائيل قد دخلت في شراكة مع ٤٢ شركة افريقية بقيمة ٢٠٠ مليون دولار . وبحلول ١٩٦٦ كانت اسرائيل قد صارت مشتركة في نحو ٢٠٠ شركة بقيمة ٥٠٠ مليون دولار ( س. ديكالو ، استشهدت به عواطف عبد الرحمن ، ص ٧١ ) . وكانت اكثر هذه الشركات تعقيدا هي مشروعات سوليل بونيه . انظر الجدول رقم ٣ من اجل التفاصيل . بيد ان احد الامثلة الشهيرة عن مثل هذه المشروعات المشتركة هو شركة سفن النجمة السوداء الغانية . فقد كانت شركة سفن اسرائيل ، تسيم تملك ٤٠ ٪ من شركة النجمة السوداء ، والحكومة الغانية تملك ٦٠٪ . وكانت اسرائيل قدمت المعرفة الفنية ايضا . وكان هذا نمط نموذجي للطريقة التي صنعت بها اسرائيل ، التي يقل فيها الرأسمال ، الكثير من الاستثمارات الافريقية المربحة وسيطرت عليها .

في ١٩٦٠ ، لم تكن اسرائيل قد وقعت غير اتفاقية معونة فنية واحدة في افريقيا ، ولكن العدد ، بحلول ١٩٧١ ، كان قد ارتفع الى ٢٤ ( انظر الجدول رقم ٤ ) . بيد ان اهم ما في العلاقات مع الدول الافريقية هو ان برامج المعونة الفنية الاسرائيلية لافريقيا هي انواع ثلاثة : تدريب الافريقيين في اسرائيل ، خبراء اسرائيليون يعملون في افريقيا ، ومؤسسات تدريب فني في افريقيا . وبين عام ١٩٥٨ وعام ١٩٦٩ تم تدريب ٦٢٧٢ افريقيا في اسرائيل . وكان هذا نحو نصف مجموع عدد الاشخاص الذين دربوا في اسرائيل خلال الفترة ذاتها . ويظهر الجدول رقم ٥ حقول التدريب المختلفة للافريقيين في اسرائيل لعام ١٩٦٩. وتجب الملاحظة ان الحقل الذي يضم اكبر عدد من المتدربين كان قيادة النقابات والتعاونيات . كذلك ارسلت اسرائيل ، بين عام ١٩٥٨ وعام ١٩٧٠ ، نحو ثلثي خبراء معونتها الفنية الاجنبية — ٢٤٨٣ من اصل ٣٩٤٨ — الى افريقيا . ويشير الجدول رقم ٦ الى ان الحقل الذي عمل فيه اكبر عدد من الخبراء الاسرائيليين كان منظمات الشبيبة يليه الزراعة . وكان هذا يعود جزئيا الى المؤسسات التعاونية والاستيطانية التي حاولت اسرائيل تصديرها بتشجيع ودعم غربيين . وكانت هذه مؤسسات شبه عسكرية تتبع نموذج الجادناع، كتائب الشبيبة ، والناحال ، منظمات الشبيبة العسكرية، لاسرائيل . وفي اسرائيل نفسها اوجدت مؤسسات عدة لتيسير مثل هذه المعونة . وابرز هذه المؤسسات واهمها المعهد الافرو — اسيوي للدراسات العمالية والتعاون في تل ابيب. واخيرا، زودت اسرائيل الجيوش والحكومات الافريقية بخبراء ومستشارين عسكريين ، كما دربت الضباط

العسكريين ورجال الشرطة الافريقيين على ترابها هي . وهذه هي الناحية التي نجد اكبر صعوبة في العثور على معلومات عنها . غير ان احد باحثي الجيش الاميركي «لمركز ابحاث الانظمة الاجتماعية»، المسمى اختصارا «كريس»، وهو الدكتور سيلفربرغ كتب اطروحة لدرجة استاذ علوم في الجامعة الاميركية بواشنطن ، العاصمة ، محللا «المساعدة العسكرية وشبه العسكرية الاسرائيلية لافريقيا الواقعة جنوبي الصحراء الكبرى : رائدة لدور العسكريين في الدول النامية » . وتشير المعلومات التي يقدمها الى ان هذا الجهد شمل خمسة عشر بلدا افريقيا . فقد اسست اسرائيل وادارت كليات طيران وبحرية وشرطة في غانا ، وقد قدم الكثيرون من الضباط الاسرائيليين في هيئات تدريس الكليات العسكرية والبوليسية لاثيوبيا . ومنذ ١٩٦٦ ، وحتى ١٩٧٣ ، كانت اسرائيل تتولى المسؤولية الكاملة للتدريب العسكري في اوغندا . وتلقى الرئيس الاوغندي عيدي أمين والرئيس الزائيري الجنرال موبوتو التدريب في اسرائيل . وفي ١٩٦٥ اعلنت وزارة دفاع سيراليون ان اسرائيل وافقت على تقديم خبراء لتدريب جيشها ( عواطف عبد الرحمن ، ص ٧٧ ) .

والامر الاكثر خطورة هو ان المستشارين العسكريين الاسرائيليين كانوا ناشطين في تشاد واثيوبيا في عمليات مقاومة الثوار ضد حركة التحرير الوطني التشادية . ( افريكاسيا ، ٢٠ تموز ( يوليو ) ١٩٧٠ ) وضد جبهة التحرير الارترية في اثيوبيا . وكتبت **الواشنطن ستار** الصادرة في العاصمة الاميركية في السادس عشر من ايار ، ١٩٧١ : « جانب المعونة العسكرية الاميركية ، يتلقى هيلاسيلاسي كذلك كميات كبيرة من المعونة من الاسرائيليين . والاسرائيليون ، رسميا ، لا يدربون الا شرطة المقاوير الارترية ، وهي قوة متحركة ، لكن النفوذ الاسرائيلي ملموس صعدا على طول سلسلة القيادة الاثيوبية . وفي أعقاب موت الجنرال تيشومي ارغيتو في كمين في تشرين الثاني ( نوفمبر ) الماضي ، وضع معظم هذا الاقليم تحت القانون العرفي ، ويقول الدبلوماسيون ان المستشارين الاسرائيليين حثوا الفرقة الثانية الاثيوبية على الثأر لموت ارغيتو بسلسلة من الاجتياحات التي قام بها المشاة في جميع أنحاء البلاد حيث احرقت عشرات القرى احراقا تاما وقتل مئات ، وربما الوف » ( استشهد بها في ( **ساوث افريكا اند اسرائيل** ، ١٩٧١ ، ص ٣٧ ) .

لقد احتفظت اسرائيل في افريقيا بشبكة عمليات مخابرات واسعة النطاق ، وافضل جهد اسرائيلي معروف يتركز في اسمرا ، بارتريا . وتلاحظ جماعة الابحاث الافريقية Africa Research Group ان العمليات السرية الاسرائيلية « مرتبطة بعمليات اكبر لوكالة الاستخبارات المركزية والمخابرات الغربية » (ARG, «David and Goliath Collaborate in Africa», 1969, p. 14). وتلاحظ ايضا ان اسرائيل متورطة في « عالم المؤامرات السري والمناورات السياسية الخفية » ( **المصدر نفسه** ، ص ١٤ ) .

خلال الستينات، باعت اسرائيل اعتدة عسكرية، وخصوصا رشيشات عوزي ، للكثير من البلدان الافريقية ، وبنوع خاص البلدان الوثيقة الارتباط بالمصالح الغربية . وتوكد الاعتدة الاسرائيلية والتدريب الاسرائيلي على قوات النخبة والقوات الضاربة التي هي فعالة ضد الفدائيين و« المتمردين » ، اي القوى الثورية . وفي هذا المجال كانت اسرائيل تلعب دورا مكملا للبرامج المضادة للثورات الاوسع بكثير التي طورتها الولايات المتحدة ( انظر م. كلاير ، **حرب بلا نهاية** ، ١٩٧١ ) . وكان هذا مفيدا بنوع خاص في قارة حاولت فيها الولايات المتحدة المحافظة على « بروفيل منخفض » . وكانت كل من جنوب افريقيا والولايات المتحدة ( فضلا عن الدول الاوروبية الاستعمارية . سابقا الاخرى ) لا تقبل بجهود اسرائيل في افريقيا فحسب بل تدعمها بنشاط أيضا . فقد اعتبرت ان مثل هذه الجهود تسهم في الصراع ضد حركات التحرير الوطني الافريقي والحركات الثورية ( « الشيوعية الاممية » ) التي تهدد بالخطر مصالحها المنفصلة والمتحدة لبعضها البعض ( انظر س. سميث ، ١٩٧٤ و. ل. لوفر ) .

**داود وجليات يتعاونان في افريقيا.** هذا هو عنوان مقالة تنقل على افضل نحو جهود اسرائيل والولايات المتحدة لمناهضة الثورات والشيوعية في افريقيا. وتوجد جهود مماثلة بوسائل مختلفة بين الولايات

المتحدة وجنوب افريقيا ( رغم بعض النقد الاميركي الرسمي للتفرقة العنصرية ) في كل من جنوب افريقيا والدول السوداء المعتمدة عليها في الجزء الجنوبي من القارة ( انظر هـ. س. روجرز ، ١٩٧٢ ) . هذان النموذجان المتوازيان للتعاون المرتبط بالولايات المتحدة هما في الواقع جزءان من مرحب ثلاثي يربط اسرائيل وجنوب افريقيا بصورة غير مباشرة . ويحتل هذان البلدان الاخيران مركزين مماثلين ويلعبان دورين مماثلين في اطار الرأسمالية الدولية ، وبنوع خاص من الامبريالية الاميركية ، في افريقيا .

وكان كلاهما ناشطا في الحقل العسكري وحقل المخابرات ضد الثوريين الافريقيين في مناطقهما الافريقية الخاصة . فقد تدخلت جنوب افريقيا بطرق متنوعة ، بما في ذلك الاعمال العسكرية في روديسيا . والى ذلك لعبت اسرائيل دورا بارزا في الجهود الايديولوجية والمتصلة بالتنظيم المضاد للثورات في افريقيا . وفي ١٩٥٩ كتب ارنولد ريفكين وهو كان أحد باحثي هيئة الخبراء الاميركيين، وقبل موته ، رئيس « مشروع افريقيا » في معهد ماساشوستس التكنولوجي ، ان الشكل الاسرائيلي المعتدل للنمو الاشتراكي يمكن ان يكون بمثابة مثال مهم للامم المتحدة النامية الثائرة ضد الغرب : « قد يثبت النموذج الاسرائيلي انه « قوة ثالثة » اقتصادية من نوع ما — بديل يختلف عن النمط الغربي ، ولكنه يقينا اكثر انسجاما مع مصالح العالم الحر من أي نموذج شيوعي » ( ورد ذكره في « داود وجليات » ، ص ٢ ) .

ويلاحظ الى ذلك : « ان دور اسرائيل كقوة ثالثة قد يعززه ايضا الاستخدام الواسع الخيال لاسلوب البلد الثالث . فان دولة من دول العالم الحر ترغب في توسيع تدفق مساعدتها لافريقيا قد تحول بعضها عن طريق اسرائيل نظرا لمؤهلات اسرائيل الخاصة ومقبوليتها بالنسبة لامم افريقية كثيرة » . ( أ. ريفكين ، ١٩٦١ ، ص ٨٩ ، مذكور أيضا في ARG ص ٢ ) .

ولم تعكس مقترحات ريفكين السياسة النامية فحسب ولكنها شجعتها أكثر . فقد كانت برامج العمل السري الاميركية تحول الاموال والمعرفة الفنية الى « القوى الثالثة » منذ اندلاع الحرب الباردة . وفي افريقيا ، مولت الولايات المتحدة والى حد أقل البلدان الرأسمالية الاوروبية ، الكثير من النشاط الاسرائيلي : لقد ساعدت فرنسا مشاريع الشبيبة في ساحل العاج ، ويقال ان بريطانيا العظمى والمانيا الغربية قدمتا المعونة لمشاريع في اماكن اخرى من افريقيا » . ( ل. لوفر ،ص ٥٠ ) . « ان انجاز اسرائيل في كون اكثر من نصف جهدها ممولا من مصادر غير اسرائيلية هو ، على الارجح ، فريد في التاريخ المتشابك لعمليات المعونة الفنية اللاحقة للحرب » ( ل. لوفر ، ص ٦٢ ) .

وفي حين ان الاموال لهذه البرامج لا تأتي جميعها مباشرة من مصادر غربية ، فان بعضها مستمد من البلدان المضيفة الافريقية التي تلقت هي نفسها « معونة » غربية . وبرامج «المعونة» هذه هي التي كانت احدى الطرق الاكثر فعالية لخلق الاعتماد على البلد الواهب . يلاحظ ل. لوفر : « ان على الارجح اكثر من مجرد صدفة ان اكبر الزيادات كانت في الصادرات الى تلك البلدان الافريقية ( اثيوبيا ، غانا ،كينيا ، نيجيريا ،واوغندا على سبيل المثال ) التي لها أيضا برنامج تعاون مني ناشط مع اسرائيل ، ( ل. لوفر ص ٢١١ ) ، هناك الكثير من النصوص حول قضية المعونة الفنية والاعتماد والاستعمار الجديد ، ( انظر على سبيل المثال A. G. Frank, 1971 ) ان الحقل الاكثر اثارة للاهتمام بين حقول التعاون الاميركي — الاسرائيلي ( والاوروبي — الاسرائيلي ) المستخدم لاسلوب « القوة الثالثة » هو ذلك الذي يتناول تهريب زعماء ومنظمي النقابات الافريقية . فقد كان « المعهد الافرو — اسيوي للدراسات العمالية والتعاون » الاسرائيلي المؤسسة الرئيسية لتدريب الزعماء العماليين ، وقد دشن هذا المعهد في اوائل الستينات بمنحة تبلغ ٦٠ الف دولار من « الاتحاد الاميركي للعمال — مؤتمر المنظمات الصناعية » (AFL - C 10) والى ذلك تلقى بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦٢ اكثر من ٣٠٠ الف دولار في شكل منح مالية ودراسية من الاتحاد الاميركي الانف الذكر ومن زميله المتحالف معه « اتحاد العمال البريطاني » (BTU) . ومنذ ذلك الحين كشفت مصادر مختلفة عن أن برامج العمل الدولية للاتحاد الاميركي قد وحدتها وكالة الاستخبارات

المركزية وتسللت اليها . فان هدف البرامج الدولية للاتحاد الاميركي هو مواز لاستراتيجية العمل الدولية لوكالة الاستخبارات المركزية وموحد معها ( انظر فيليب أجي ، ١٩٧٥ ، من اجل بحث مفصل لاستراتيجية عمل وكالة الاستخبارات المركزية في اميركا اللاتينية ، وخصوصا الملحق رقم ١ من أجل قوائم تضم منظمات العمل الدولية المنتسبة الى وكالة الاستخبارات المركزية ، ج. موريس ، ١٩٦٨ ، د. داود ، ١٩٧٤ ) . وبالفعل ، ساعد الاتحاد الاميركي في تنظيم اتحاد دولي للعمال ( الاتحاد الدولي للنقابات الحرة ) هو على وجه التحديد مناهض للشيوعية وناشط في مقاومة نقابات واتحادات موازية اوحى بها الشيوعيون وتقوم بنشاط سياسي ( ف. آجي ، د. داود ) . ويلاحظ زاك وهو مسؤول في الاتحاد الدولي للنقابات الحرة : « التوكيد هو على التعاون مع أقسام اخرى من المجتمع ، ويكرس وقت قليل نسبيا لمهارات بناء النقابات العمالية كقوة فعالة في البلاد » ( أ. زاك ، ١٩٦٧ ) .

وباختصار ، فان المعهد الاسرائيلي لتدريب الزعماء النقابيين يدرب على وجه التخصيص قيادة لا سياسية ومناهضة للشيوعية لنقابات العمال الافريقية . وتكتب جماعة الابحاث الافريقية : « ان نقابات العمال الافريقية هي أدوات سياسية للغاية والتدريب الذي يحصل في اسرائيل يسعى الى نزع السياسة منها عن طريق اعتماد توجيه « تعاوني » اكثر منه توجيه طبقة عاملة ثورية » ( **داود وجليات** ... ص ٦ ) .

ومن جهة ، كسبت الاعمال الاسرائيلية ووظيفة اسرائيل الامبريالية في افريقيا تأييد جنوب افريقيا والغرب الرأسمالي . ومن جهة اخرى ، فيما اميط اللثام اكثر فأكثر عن هذه الاعمال وهذا الدور ، فقد كسبت عداء افريقيا السوداء التي صارت بصورة متزايدة مناهضة للامبريالية ( خصوصا في الاجتماعات والمنتديات العالمية ) ومعادية للتفرقة العنصرية في جنوب افريقيا وحكم الاقلية البيضاء في روديسيا .

**اسرائيل ، والتفرقة العنصرية وافريقيا .** انهارت لعبة التوازن الاسرائيلية في ١٩٧٣ وحولت نفسها منذ ذلك الحين الى تحالف مكشوف مع الانظمة الافريقية الرجعية ، وبخاصة جنوب افريقيا ، بيد أن هذا التحالف لم يكن مفاجئا ولا خلوا من الاضطراب في الماضي . وقد بذر تغلغل اسرائيل في افريقيا السوداء منذ الستينات بذور النزاع في علاقاتها مع جنوب افريقيا حتى عام ١٩٧٣ . كانت هذه هي اعوام النجاح الاسرائيلي في القارة السوداء . وكان الاسفين الذي وسع فجوة التناقضات بين الدول الافريقية واسرائيل وقرب اسرائيل من جنوب افريقيا هو الموقف الاسرائيلي من عدد من المسائل الافريقية . وكانت هذه المسائل هي القضايا الافريقية للتحرير الوطني ، ومناهضة حكم الاقلية البيضاء ، ومناهضة سياسة التفرقة العنصرية .

في نظر الافريقيين السود ، صار نمط الاعمال الاسرائيلية اوضح بصورة متزايدة واكد ارتباط اسرائيل بالقوى الامبريالية والرجعية المحلية . مثال ذلك ، ان اسرائيل صوتت ضد الاستقلال الجزائري في الامم المتحدة عام ١٩٥٦ ، وضد برنامج الامم المتحدة لاجراء انتخابات عامة في الكاميرون عام ١٩٥٩ . كذلك صوتت اسرائيل ضد شجب تفجير فرنسا لقنبلة نووية في الصحراء الكبرى . وعام ١٩٦٠ امتنعت اسرائيل عن التصويت على استقلال تنغانيكا ، رواندا وبوروندي ، بعد سنة واحدة فقط من تصويتها ضد الاقتراح الليبيري لمنح الحكم الذاتي للمستعمرات الافريقية .

كما أن تأييد اسرائيل للحركات الانفصالية في افريقيا أكسبها بعض العداوة . فقد دعمت اسرائيل بيافرا في نيجيريا ( هـ. س. روجرز ، ص ٤٢ ) مما حدا بعدة صحف نيجيرية لدعوة الحكومة النيجيرية الى اعادة النظر في علاقاتها باسرائيل. وحول أزمة الكونغو ، وقفت اسرائيل موقفا غامضا . فقد علم الافريقيون بزيارة طوماس تشومبي ، شقيق مويز تشومبي زعيم حركة كاتانغا ، الى اسرائيل التي قال خلالها انه بحث مع المسؤولين الاسرائيليين الاعتراف بكاتانغا مستقلة ( **ميدل ايست ريكورد** ، ١٩٦، ص ٣٦ — ٣٧ ، جيء على ذكرها في عواطف عبد الرحمن ). كذلك امتنعت اسرائيل عن التصويت لقبول الوفد الكونغولي في الامم المتحدة . ودعمت اسرائيل بنشاط متمردي الانيانيا الانفصاليين في جنوب

السودان ( **الصنداي تايمز** ، استشهد بهـا روجرز ، ص ٤٢ ) . وهذا التورط الاخير الـذي اشتمل على تدريب متمردي الانيانيا وامدادهـم بالاسلحة كان مرتبطا ارتباطا مباشرا باهتمامـات اسرائيل الاستراتيجية ــ العسكرية فـي العالم العربي .

كان احد اهم وجوه الاعمال الاسرائيلية فـي افريقيا هو التعاون مع الجهود البرتغالية الراميـة الى المحافظة على حكمها الاستعماري في غينيـا ــ بيساو والموزمبيق وانغولا . وقد أشار الزعيم الثوري الغيني الراحل العظيم أميلكار كابرال على وجه التخصيص الى تدريب اسرائيل للقـوات البرتغالية التي تشن حربا استعمارية ضد الشعوب الافريقية وتزويدها بالاعتدة . كذلك لاحظ التدريب الاسرائيلي للعناصر الغينية المناوئة للثورة علـى التسلل الى الصفوف الثورية . وندد بتحـالف البرتغال واسرائيل والولايات المتحدة ( **الديلـي ستاندارد** الصادرة في تنزانيا ، ٧ اكتوبر ، ١٩٧٢، استشهدت بها عواطف عبد الرحمن، ص ١٠٢ ) .

وفي تصريح ادلى به لويس كابرال ، شقيـق أميلكار من المكتب السياسي للحزب الافريقي من أجل استقلال غينيا والرأس الاخضر ، قـال : « فيما يتعلق بالدور الذي يلعبـه الامبرياليـون الاميركيـون والصهيونية وناتو دعما للبرتغـال ، احب أن اذكركم ... بأن معظم أسلحة البرتغاليين هي اسرائيلية » ( ذكرها روجـرز ، ١٩٧٢ ، ص ٤١ ( .

مثل هذا النشاط الاسرائيلي في افريقيا لم يكن مجهولا لدى حكومة جنوب افريقيا التي تدعـم جميع الجهود المضادة للتحرير والمناوئة للثـورات في افريقيا . وبالفعل ففي تموز ( يوليو ) ، ١٩٦٧ ، اثر حرب حزيران ( يونيو ) من تلك السنة ، صرح وزير العمل الجنوب افريقي بان اخفاق العرب في هزم اسرائيل يعزز مركز جنوب افريقيا اذ انـه سيجعل الزعماء الافريقيين المتطرفين يعيدون النظر في تهديداتهم لحكومة جنوب افريقيا ( ذكر ذلك في عواطف عبد الرحمن ، ص ١٠١ ) .

بيد أن الانسجام الاسرائيلي ــ الجنوب افريقي تمزق منذ عام ١٩٦١ ، عندما اقدمت اسرائيـل ، بعد امتناعها عن التصويت في الامم المتحدة السنة السابقة ، على التصويت في تشريـن الثانـي ( نوفمبر ) من ذلك العام الى جانب مقترحـات خاصة لفرض عقوبات اقتصادية على نظام التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا . وربما كان هذا تصويتا لم يكن بوسع اسرائيل تجاهله نظرا لرغبتها فـي اقامة علاقات مع الدول الافريقيـة السوداء . وصدرت عن حكومة جنوب افريقيا ردة فعل غاضبة، وأعلن فيرفورت انه اذا كانت اسرائيل ترى عيبا في سياسات جنوب افريقيا فان استمرار اسرائيل في العالم العربي هو أيضا خطأ ( استشهد به في. س. منصور ، ١٩٦٦ ، وذكر في عواطف عبـد الرحمن ) . ولكـن رغـم هذا ، ورغم قـرار الجمعية العامة للامم المتحدة الآنف الذكر والداعي الـدول الاعضاء الى قطع العلاقات مع جنـوب افريقيا ، ومقاطعة سلعها ، والامتناع عن تصدير السلع اليها ، فان العلاقات التجارية والاقتصادية بين اسرائيل وجنوب افريقيا نمت بسرعة ( انظـر الجدول رقم ٧ ) وصارت تشكل اكبر حصة مـن التجارة الاسرائيلية ــ الافريقية . وكذلك ، علـى الرغم من خطاب اسرائيلي في تشرين الثاني ١٩٦٧ في الامم المتحدة هاجم التفرقة العنصرية بجنـوب افريقيا علنا ، فان المنظمات في كل من البلديـن ضغطت من اجل توثيق العلاقات وتحسينها بينهما. وقد لاحظت افتتاحية لصحيفة **دي فادرلاند** حـول زيارة بن غوريون الى جنوب افريقيا لجمع الاموال في ١٩٦٩ ان « بقاء اسرائيل في الشرق الاوسـط هو جزء جوهري من امننا » ( استشهد بها جورج طعمه ، ١٩٧٣ ) .

ابان حرب يونيو ، ١٩٦٧ وفي اعقابها جمـع « نداء الطوارىء الاسرائيلي » في جنوب افريقيـا في غضون اسابيع ٢٨ مليون دولار في شكل تبرعات. وتخلت حكومة جنوب افريقيا عن القيود العاديـة التي تفرضها على العملة . وفي اب ( اغسطس ) من ذلك العام قال وزير النقل الجنوب افريقي ان تصريح الحكومة السابق عن الحياد « لا يعني اننا لم نعطف على اسرائيل . فبعد كل شيء ، هنـاك اوجه شبه بين جنوب افريقيا واسرائيل . فكلانـا دولتان تواجه بلدانا معادية في القارة الافريقيـة ولدينا حق في الاستقلال والبقاء . ونظرا لـذاك العطف ، اتفقنا على ان الاموال من جنوب افريقيا يجب ان ترسل للمساعدة في تخفيف الضيـق في اسرائيل » American Jewish Yearbook, 1968, p. 325.

نمت العلاقات الاقتصادية بين جنوب افريقيا واسرائيل في حقول اخرى غير التجارة . مثال ذلك تجارة الماس الخام البالغة الاهمية بالنسبة الى اسرائيل . فمناجم جنوب افريقيا تنتج نحو ٨٠٪ من انتاج الماس العالمي في حين تحتل اسرائيل المرتبة الثانية بعد بلجيكا في تصدير الماس المصقول على نطاق العالم . في حين يأتي الماس الخام الذي تبتاعه اسرائيل من مصادر مختلفة ، فانه يشترى بصورة رئيسية من منظمة البيع المركزية التي تسيطر عليها جنوب افريقيا . وقالت **رافد ديلي ميل** في الثالث من شباط ( فبراير ) ، ١٩٧٢ ان « واردات الماس المشترى من جنوب افريقيا الى اسرائيل فاقت قيمتها ١٠٠ مليون دولار عام ١٩٧١ ومثلت نحو نصف امداد اسرائيل ... كانت العلاقات مع جنوب افريقيا ودية جدا وكان السيد شنيتزر ، رئيس بورصة الماس الاسرائيلية ، واثقا من انه سيحافظ على الامدادات لاحتياجات الصناعة النامية » ( ورد في جورج طعمه ، ص ١٦ ) .

والالماس المصقول هو اكبر صادرات اسرائيل ، ووفقا للاحصاءات الاسرائيلية يمثل ٨ر٤١٪ من مجمل الصادرات غير الزراعية للبلاد و ٣٥٪ من صادراتها الاجمالية عام ١٩٦٩ . وبالاضافة الى ذلك كان تصدير الراسمال الخاص من جنوب افريقيا الى اسرائيل وبالعكس آخذا في النمو ( انظر **ساوث افريكان فاينانشال غازيت** ، اعداد ١٩٧١ و **فاينانشال ميل** الصادرة في جوهانزبرغ ، ٤ ايلول — سبتمبر ، ١٩٧٠ ) .

حوفظ على العلاقات السياسية — العسكرية بين اسرائيل وجنوب افريقيا وعززت خصوصا بعد حرب يونيو ١٩٦٧ . واشار س.ل. سالزبرغر من **النيويورك تايمز** ( ٣٠ نيسان — ابريل ، ١٩٧١ ) ، الى هذه الشراكة الوثيقة ( ولكن المخفية ) : فجنوب افريقيا تصنع الرشيش الاسرائيلي عوزي بموجب رخصة ممنوحة عن طريق بلجيكا . وكتب عن تقارير غير رسمية مفادها ان النسخ الزرقاء لطائرة ميراج النفاثة التي حصلت اسرائيل عليها ، وضعت في متناول جنوب افريقيا وان العسكريين الجنوب افريقيين كانوا يذهبون الى اسرائيل لتلقي دروس خاصة في التكتيكات الاسرائيلية . واشير الى تعاون اخر فيما يتعلق بصناعات الطائرات الاسرائيلية والجنوب افريقية ومحاضرة الجنرالات الاسرائيليين في جنوب افريقيا ، في دراسة A R G ( **جنوب افريقيا واسرائيل** ، انظر ايضا **تريكونتيننتال بوليتين** ، حزيران — يونيو ، ١٩٦٨). كما ان تقرير الوكالة التلغرافية اليهودية ، في ٢٠ كانون الثاني ( يناير ) ، ١٩٧٠ ، يلاحظ : « لقد ابتدأت الحكومة الجنوب افريقية تنظم تصدير الدبابات الى اسرائيل مشيرة الى « مرحلة جديدة لتعاونهما » . والدبابة الجنوب افريقية ماردة تزن خمسة وستين طنا «مجهزة بمدفع ثقيل ومصممة وفقا لطراز الدبابة الجديدة البريطانية » ( استشهد بها في **جنوب افريقيا واسرائيل** ، ص ١١ — ١٢ ) . وكما يستنتج سالزبرغر : « تبقى الحقيقة الاساسية وهي ان هذا البلد ، جنوب افريقيا ، الذي ليس له اصدقاء كثيرون في الخارج ، يعتبر اسرائيل واحدا منه . ولبعض الوقت كانت سياسة اسرائيل الرامية الى كسب ود الامم الافريقية السوداء موضع استياء جنوب افريقيا . وقد نسيت هذه السياسة الان اعتقادا منها بان وقوف اسرائيل ضد روسيا ومن ينوب عن روسيا في الطرف القصي من هذه القارة يساعد في التحضير للوقوف موقفا مماثلا ، اذا دعت الحاجة ، عندما يأتي اليوم لمثل هذا الموقف في اقصى الجنوب » ( **نيويورك تايمز** ، ٣٠ نيسان — ابريل ١٩٧١ ) . يعني موقف مماثل ضد اي نضال للتحرير الوطني المناوىء للامبريالية .

في ١٩٦٩ ، لا بد ان تكون اسرائيل شعرت بالاطمئنان الكافي في افريقيا للامتناع عن التصويت في الامم المتحدة حول مقررات تونج ، وتفرض عقوبات اقتصادية وعسكرية ضد ، نظام الاقلية البيضاء في روديسيا ، حليفة جنوب افريقيا . واثار هذا من جديد التساؤلات بين الدول الافريقية السوداء . ومن هذا فان اخر شائبة اعترت الاتفاق الجنوب افريقي — الاسرائيلي قبل ١٩٧٣ كانت تتعلق بدعوة يوثانت عام ١٩٧١ ، البلدان التي تقاوم الاستعمار والعنصرية الى تقديم تبرعات للجنة التحرير الافريقية بواسطة منظمة الوحدة الافريقية . وتعهدت اسرائيل بدفع مبلغ ١٠ الاف ليرة اسرائيلية . ومع ان لجنة التحرير رفضت هذا التعهد — على اساس ان اسرائيل نفسها هي بلد عنصري واستعماري هدفه زيادة تسلله في افريقيا

السوداء لمصلحة الامبريالية — فقد غضبت جنوب افريقيا وردت بتقييد التحويلات المالية الى اسرائيل . وسارعت اسرائيل الى التفسير قائلة ان مثل هذه الاموال ليست لحركات التحرير بل للجنة الامم المتحدة من اجل صندوق تعليم اللاجئين .

بالاضافة الى العوامل الآنفة الذكر التي اماطت اللثام عن موقف اسرائيل حول قضايا الوحدة الافريقية المتنوعة ، فان انتقاد دور اسرائيل الموالي للامبريالية (فكرة حصان طروادة الامبريالية) في افريقيا من قبل المصادر السوفياتية والمسؤولين على الاصعدة الشعبية والرسمية وغير الرسمية اسهم في بلورة نظرة جديدة الى اسرائيل في البلدان الافريقية . كذلك فان الانتقادات القوية التي وجهها الزعماء الصينيون اسهمت في توضيح تلك النظرة . وادت الصلات الوثيقة بصورة متزايدة التي تربط بعض الدول الافريقية مثل الكونغو — برازافيل والى حد اقل تنزانيا بالبلدان الاشتراكية الى اعادة تقييم . وقطعت الكونغو علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل حتى قبل حرب ١٩٧٣ .

والى ذلك فان التيسير السابق للعلاقات الاسرائيلية بافريقيا الناطقة بالفرنسية بسبب العداء الفرنسي للعرب اخذ يتغير جذريا بعد حرب يونيو ١٩٦٧ . وفرنسا نفسها اتخذت موقفا اكثر انصافا وان لم يكن اكثر موالاة للعرب . وقد يكون هذا اثر على بعض البلدان الافريقية المرتبطة بفرنسا . واخيرا ، وليس الاقل اهمية ، هو الجهد الناشط الذي بذلته الدول العربية على الصعيدين الافريقي والدولي للنضال ضد اسرائيل وفضح طبيعتها . ولذا يجب ان يكون واضحا الان كيف صار متعذرا الدفاع عن مركز اسرائيل في افريقيا ، الامر الذي ادى الى قطع العلاقات مع الدول السوداء وتعزيز العلاقات الخاصة مع الانظمة الرجعية ، وبخاصة جنوب افريقيا .

### الاستعمار الاستيطاني : اوجه شبه بنيوية

بالاضافة الى العامل التاريخي ، وعامل الادوار والصلات الدولية ، فان العامل الثالث المسهم في العلاقة الخاصة بين اسرائيل وجنوب افريقيا هو بناهما الاجتماعية المتشابهة . وينبثق هذا التوازي من طبيعتهما كدولتين من دول الاستعمار الاستيطاني . وعلى الاقل ، فان البنى الاجتماعية المتماثلة تميل الى توليد ايديولوجيات وآراء عالمية متشابهة ، مما يفضي الى تعاطف وتفاهم متبادلين . وتسهل الاوضاع الداخلية والخارجية اوجه الشبه البنيوية هذه ، فتولد ضغوطا ايديولوجية وعملية من اجل التحالف النشيط .

لم يدرس الاستعمار الاستيطاني والدول التي شيدها المستعمرون دراسة كافية ولم يحللا تحليلا نظريا ( تشتمل المحاولات الاخيرة المتسمة بنفاذ البصيرة على ب. ل. فان دن برغ ، ١٩٦٧ ، أ. ايمانيويل ، ١٩٧٢ ، جورج جبور ، ١٩٧٠ ، ابراهيم أبو لغد و بهاء ابو لبن ، ١٩٧٤ ) . وفي هذا القسم سنحلل المعالم البارزة للبنى الاجتماعية المتماثلة في اسرائيل وجنوب افريقيا .

لقد درست طبيعة الاستعمار الاستيطاني لجنوب افريقيا من الناحيتين التاريخية والمعاصرة دراسة وافية من منظورات مختلفة . ودرست اسرائيل الى درجة اقل ، ربما بسبب التميز الغربي التقليدي . ولكن منذ يونيو ، ١٩٦٧ ، وبروز « اليسار الجديد » على الصعيد الدولي ، جرى تحليل اسرائيل مباشرة من هذه الناحية . وافضل مثال هو كتاب المؤرخ والعالم الاجتماعي الفرنسي ماكسيم رودنسون المعنون **اسرائيل : دولة استعمار استيطاني ؟** ( انظر ايضا ا. لوبل ١٩٧٠ ) .

المستعمرون الاستيطانيون ، كما يجادل ايمانيويل ، هم عامل **مستقل مهم** في فهم الظاهرة الاستعمارية . فالمستعمرون انفسهم « يتدخلون بين الرأسمالية الامبريالية وشعوب البلدان المستغلة » وهم في الاساس معادون للاثنين ( ايمانيويل ، ص ٣٦ ) .

وتتناقض مصالح المستعمرين الاستيطانيين مع كل من مصالح سكان البلاد المحليين ومالية رأسماليين « البلد الام » . وعندما يبدأ تفاهم بين الدولة المستعمرة والسكان الوطنيين في البروز ( مؤدية عادة الى استقلال سياسي للسكان الوطنيين ) ، يشعر المستعمرون بالخطر ويقاومون بعنف . « هذا العنصر التقهقري والرجعي قاد الصراع [ تاريخيا ] على جبهتين — بعناد وحماسة ضد السكان الوطنيين ... ونسبيا ومن حين لاخر،

ولكن احيانا كثيرة بعنف بالغ ، ضد الرأسماليين الكبار « في الوطن الام » ( ايمانيويل، ص ٣٩ ).

يحاول المستعمرون الانفصال عن الوطن الام واقامة نظامهم التفوقي الخاص الذي تكون سمته المميزة الاضطهاد الشديد للسكان الوطنيين . وروديسيا هي اخر مثل على هذه الظاهرة . وقد أعلن الجنرال الفرنسي سالان ، الذي قاد انصار « جزائر فرنسية » ، من فرنسيين جزائريين يسمون Pieds Noirs ، ومنظمة الجيش الفرنسي السري ، « خلال مقابلة في راديو لوكسمبورغ ان نوع الوجود الفرنسي في الجزائر الذي كان في ذهنه في ذلك الحين كان ( مثل روديسيا ، ولكن دون تفرقة عنصرية ) » ( ايمانيويل ص ٤٨ ) . وفي حين ان الصراع العنيف بين المستوطنين الجنوب افريقيين وبريطانيا كان اقتصاديا في الجوهر ، فقد كانت له صلة ايضا بالسياسة البريطانية المتعلقة بالسكان الوطنيين . وعندما فاز البيض المحليون اخيرا بالاستقلال والسيطرة على الدولة ، فرضوا احدى البنى الاكثر جورا واستبدادا في التاريخ : التفرقة العنصرية : « في ما يتعلق باسرائيل ، كثيرا ما ينسى الناس انه اذا كان هذا البلد يمثل رأس حربة للامبريالية في السياق الدولي الراهن المعين من العداء بين الكتلتين الكبريين ، فليس هذا الا نتيجة ظروف خاصة . فطبيعته الحقيقية هي ان يكون كتلة من المستوطنين « البيض » الصغار تنتشر اكثر فاكثر لتستعمر منطقة متخلفة . وهذا هو الذي يجعل نزاعهم مع شعوب المنطقة قاسيا الى هذا الحد ، حتى حيث تعيش تلك الشعوب في ظل انظمة موالية للغرب هي نفسها تابعة للامبريالية ... ورغم تحالف اسرائيل مع الامبريالية الاميركية ... فهي دولة استعمارية انفصالية . وقد كان اساسها موضع صراع طويل ودموي مع انكلترا التي لعبت دور البلد الام الامبريالي » ( ايمانيويل ، ص ٤٧ ، هذا هو الصراع الذي شجع الصهاينة على وصف اسرائيل بانها مناهضة للامبريالية ، والصهيونية بانها حركة تحرير يهودية ) .

لدى انفصال المستعمرين ، او استقلالهم ، تكون الصفة المميزة المحورية لانظمة الاستعمار الاستيطاني هي علاقتها بالسكان الوطنيين والارض.

فمن الناحية السياسية ، يؤسس المستعمرون الاوروبيون ما يسميه فان دن برغ « ديموقراطية هيرنفولك » ، ثنائية سياسية مع ديموقراطية برلمانية للمستعمرين المستوطنين ونظام استعماري للسكان الوطنيين ( انظر ب.ل. فان دن برغ ، ١٩٦٥ ، ايضا ب. ل. فان دن برغ ، ١٩٦٧ ). وهذا « نظام برلماني تقصر فيه ممارسة السلطة وحق الاقتراع ، في الواقع ، واحيانا كثيرة بموجب القوانين ، على الجماعة المسيطرة » ( فان دن برغ ، ١٩٦٧ ، ص ٢٩ ) . وباختصار ، فان المستعمرين يحكمون انفسهم حكما ديموقراطيا ويفرضون استبدادهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي على السكان الوطنيين .

**اكتساب الاراضي** ، الاستيطان الاستعماري يحتاج الى الاراضي . وهكذا ينفجر عداء فوري مع السكان الوطنيين عندما يأخذ المستعمرون الارض ( ينتزعونها او حتى يشترونها ) . ولضمان الحصول على المستعمرة ، يقتضي الامر المزيد من المهاجرين، وهكذا يزداد ضغط السكان والارض على السكان الوطنيين . وتتبع ذلك مقاومة السكان الوطنيين . ولكن يتم اطلاق عملية ديناميكية : توسعية استعمارية ، هجرة ، وطرد او اخضاع وفصل عنصري للسكان الوطنيين . وتعبر هذه العملية الديناميكية عن نفسها في سلسلة من المعارك والحروب التي تبلغ اوجها في السيطرة على الارض، وطرد السكان الوطنيين واخضاعهم . واحيانا تصير نزاعات كهذه ابادة جماعية للشعب . في اميركا الشمالية تسمى هذه الحروب الحروب الهندية ، وفي جنوب افريقيا « حروب الكفير » «Kaffir Wars» وفي الشرق الاوسط النزاع العربي — الاسرائيلي ( ولا ننكر هنا ان عوامل اخرى دخلت الصورة هنا ) .

تفاصيل هذه العملية الديناميكية تختلف في حالات الاستعمار الاستيطاني المختلفة ، لكن الجوهر والنتاج لا يتغيران . ففي جنوب افريقيا تم اكتساب الاراضي بقوة تدعمها الدولة الامبريالية ( واحيانا تتجاهلها ) . وبالفعل ، بدءا من القرن التاسع عشر ، ادى النزاع بين المصالح الامبريالية البريطانية وجالية المستوطنين الافريكانيين الى المزيد من التوسعية الواسعة النطاق ( انظر روايات عن هذا النزاع في ل. ماركاند ، ١٩٦٦ ، و. فاتشر

١٩٦٥ ، ب. ل. فان دن برغ ، ١٩٦٧ ) . ولا حاجة الى القول ان هذه التوسعية كانت على حساب السكان الوطنيين ، اولا البوشمان والهوتنتوت ، وفيما بعد البانتو . وقد دفع الافريكانيون ، الجنوب افريقيين السود الى اراض معينة « حفظت » لهم . وقد خصص « قانون اراضي السكان الوطنيين » لعام ١٩١٣ للسكان السود ٧٪ من الاراضي ( زيدت فيما بعد الى ١٣٪ عام ١٩٣٦ ) التابعة لجنوب افريقيا ، علما بان الافريقيين كانوا يفوقون الافريكانيين البيض عددا باربعة اضعاف . وتكرر هذا النموذج في روديسيا باستثناء انه تم في فترة اقصر من الوقت ، بدءا من عام ١٨٩٠ وكانت نسبة الافريقيين الى البيض اقرب الى ٢٠ الى ١ .

في العالم العربي ، كانت التفاصيل مختلفة بعض الشيء . فالمستعمرة الصهيونية الاولى في فلسطين ، رغم دعم بريطانيا الامبريالية لها ، لم تنجز بالغزو اذ أنها كانت ستولد حربا مع امبراطورية قديمة العهد وقوة اقليمية ، هي الامبراطورية العثمانية . فقد تم اكتساب الصهاينة الباكر للارض عن طريق عملية شراء مولها الصهاينة الاوروبيون والمتعاطفون معهم . ولكن كل هذه النشاطات لم تكن ذات بال قبل ان يفرض الانتداب البريطاني على فلسطين في اعقاب الحرب العالمية الاولى . « بحلول ١٩٠٠ كان نحو ٥٠ الف يهودي يسكن فلسطين ، جميعهم تقريبا مركزون كاقليات في مناطق مدينتي القدس ويافا حيث لم يكونوا يزرعون الارض ولا يطالبون بملكيتها ( ج. ابو لغد ، ١٩٧١ ، ص ١٤٠ ) .

وقد سهل الانتداب البريطاني على المستوطنين امر اكتساب الاراضي ، وكان بذلك يتصرف بانسجام مع قصد اعلان بلفور اقامة « وطن قومي » للصهاينة . واطلق هذا نمط قدوم المهاجرين الاستيطانيين وتجريد الفلاحين الفلسطينيين من اراضيهم . وشعر السكان العرب بخطر هذه العملية وقاوموها بطرق عدة ، بما في ذلك شن ثورة شاملة ضد البريطانيين والصهاينة بين عام ١٩٣٦ وعام ١٩٣٩ . ومع هذا ، بحلول ١٩٤٧ ، عندما احال البريطانيون المسألة الفلسطينية على الامم المتحدة ، لم يكن امتلاك الصهاينة واليهود للاراضي في فلسطين يزيد على ٧٪ من المساحة بكاملها ( انظر تحليلا دقيقا « لديناميكيات تحويل ملكية الاراضي » لـ ج. رودي ، ١٩٧١ ) . ولكن في ١٩٤٨ كان عدد السكان المستوطنين في فلسطين يدنو من ٧٠٠ الف نسمة ، نحو ثلث مجموع سكان البلاد ( انظر ج ، ابو لغد ، ١٩٧١ ) . ولم يتم الامتلاك الصهيوني للاراضي بالجملة في فلسطين الا بعد الحرب الفلسطينية ١٩٤٧ — ١٩٤٨ . وهنا ايضا تم امتلاك الاراضي بالقوة . لا بد من الاشارة الى ان الامم المتحدة التي كان الغرب يسيطر عليها آنذاك وفرت الاساس الرسمي لدولة الاستيطان الصهيوني ، دون الرجوع إلى رغبات السكان المحليين ، في قرار لتقسيم فلسطين اتخذ في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ( نوفمبر ) ، ١٩٤٧ . وفي ما عدا جنوب افريقيا ، لم تصوت لخطة التقسيم غير امة افريقية واحدة وامة اسيوية واحدة . وقد اقر القرار بفضل تصويت بلدان اوروبا ونصف الكرة الارضية الغربي ، ووسعت دولة الاستيطان الجديدة الصهيونية اراضيها في فلسطين من الـ ٦٥٪ التي خصصتها لها الامم المتحدة الى ٧٧٪ في ١٩٤٨ . واستمر التوسع الاسرائيلي في ١٩٦٧ في اعقاب حرب يونيو . فقد استولت اسرائيل على اراضي بقية فلسطين واراضي دولتين مجاورتين . وضمت اسرائيل اليها، من جانب واحد ، القدس العربية والمناطق المحيطة بها . واسس الاسرائيليون اكثر من دزينتي مستوطنات جماعية وشبه عسكرية ، لا في بقية فلسطين ( الضفة الغربية ) فحسب بل ايضا في الاراضي السورية والمصرية . وبالفعل ، فان الاموال التي جمعت في جنوب افريقيا ساعدت الجهد الاستعماري الاسرائيلي : « لقد انجز الصندوق في جنوب افريقيا مشروعا في منطقة باتياس في هضبة الجولان ، وبمناسبة الذكرى السبعين ، شرع في مشروعات عدة ، منها انماء نؤوت هاكيكار » ( تقرير بعنوان « سبعون سنة من الصندوق الوطني اليهودي » جيء على ذكره في جورج طعمه ، ص ٤٧ ) .

لطالما ادعت الايديولوجيا الصهيونية حق الاستيطان في ما تسميه ارض اسرائيل ، التي تشتمل على فلسطين التاريخية واراض عربية من لبنان وسوريا والاردن .

وما ان تقام دولة مستوطنين على ارض وطنية

حتى يبدأ تنفيذ عملية اكتساب الاراضي عن طريق قوانين دولة المستوطنين . وهناك قوانين من شأنها تحويل ملكية الاراضي الوطنية وتنظيم اكتساب الاراضي . كما انها تجعل مثل هذا النمط « شرعيا » ، مثال ذلك « قانون ملكية الغائبين » لعام ١٩٥٠ في اسرائيل ، فهذا القانون وتشريعات اخرى مثل المادة ٢٥ من « تنظيمات الطوارىء » ، التي تجيز للحكومة العسكرية ان تطرد القرويين وتغلق مناطقهم ، اسهمت في نقل الاملاك العربية الى ايدي المستوطنين الاسرائيليين ( انظر رواية هذه العملية في « **العرب في اسرائيل** » ، ١٩٦٩ لصبري جريس ، المحامي الفلسطيني ) . وكان هذا النمط من اغتصاب الاراضي والتشريعات القانونية التمييزية المتعلقة بالاراضي ، من الوضوح بحيث دفعت اساتذة الجامعات الاسرائيلية الى الاحتجاج والى انتقاد هذه القوانين ( جاكوب لاندو « **العرب في اسرائيل** » ، ١٩٦٨ ، ص ١١٧ ) . ولم ينته هذا النمط بعد حرب يونيو ١٩٦٧ . فمنذ ذلك الحين صادرت الحكومة الاسرائيلية المنازل العربية داخل مدينة القدس القديمة ، اولا في كانون الثاني ( يناير ) ثم في نيسان ( ابريل ) ، ١٩٦٨ . وخسر ٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ فلسطيني اراضيهم ونقلوا فيما بعد الى الضفة الشرقية للاردن . ولم تكن هذه العمليات « القانونية » لاستيلاء المستوطنين على الاراضي تختلف في الجوهر او النتيجة عن قوانين اراضي الوطنيين في جنوب افريقيا وروديسيا .

**الهجرة** : فضلا عن اكتساب الاراضي ، فان الاستعمار الاستيطاني معني بهجرة مستوطنين جدد للمساعدة في ضمان وتقوية مجتمع المستوطنين . وهذا جهد يناقض السكان الوطنيين مناقضة مباشرة . ولذا فان وجود الوطنيين هو مشكلة . وكما يقول باتريك كيتلي عن الروديسيين البيض : « لا يسع المرء الا الشعور ... ان الروديسيين البيض يحملون في اعماق قلوبهم امنية صامتة وهي ان يختفي الافريقيون » ( استشهد به في ا. ب. تشيلدرز ، ١٩٧١ ) .

« الامنية الصامتة » في جنوب افريقيا تتخذ شكل فصل جغرافي واجتماعي عنصري قسري للسود . وكذلك فان الصهاينة في خطبهم وسياستهم يظهرون هذه « الامنية الصامتة » نفسها . لقد صاغ احد اوائل الفلاسفة الصهيونيين ، وهو اسرائيل زانغويل ، الشعار القائل ان فلسطين هي ارض بلا شعب تعطى الى شعب بلا ارض ( اي اليهود الاوروبيين ) . وفي ١٩٣٨ كتب ت. ر. فايويل : « ان تاريخ السياسة الصهيونية نحو العرب هو تاريخ هذا الوهم ، ولكنه وهم مؤيد بتعصب ، ان عرب فلسطين **لا وجود لهم** ، على الاقل كأمة منفصلة لها اهدافها للبقاء الوطني الذي لا بد من اخذه في الاعتبار ... » ( استشهد به في تشيلدرز ، ص ١٧٧ ) .

وبالفعل ، فحتى عام ١٩٦٩ قالت غولدا مئير ، رئيسة وزراء اسرائيل آنذاك ، في احدى المقابلات: « لم يكن الامر وكأنه كان هناك شعب فلسطيني في فلسطين يعتبر نفسه شعبا فلسطينيا فجئنا نحن وطردناه واخذنا بلده منه . لم يكن له وجود » ( **الصنداي تايمز** ، لندن ، ١٥ يونيو ، ١٩٦٩ ) .

كان الاستعمار الاستيطاني الصهيوني ، مدفوعا بايديولوجيا دينية — تاريخية ومقرونا بالرغبة في ان تكون له امة حديثة يوجد فيها يهود من جميع الطبقات ، معنيا على نحو خاص بالرغبة في بلد خلو من الوطنيين ، اي خلو من العرب . ويحلل تشيلدرز في مقالته التاريخ والخطط والحروب ( العسكرية والاقليمية والنفسية ) التي جعلت من الممكن وجود فلسطين ، على حد تعبير بن غوريون، « مفرغة تقريبا من اصحابها السابقين » . (**الحولية الاسرائيلية** ، ١٩٥٢ ، ص ٣٨ ، انظر التفاصيل في الكولونيل لورتش ، المؤرخ العسكري الاسرائيلي ، « **حد السيف** » ، ص ٨٧ ، م. بيغين ، « **الثورة : قصة الايرغون** » ، ١٩٥١ ، ص ١٦٢ — ١٦٥ ، أ. كوبستلر ، « **الوعد والتحقيق** » ، ١٩٤٩ ص ٨٩ ، ١٦٠ ، ٢١٥ ، أ. او بالانس ، « **الحرب العربية — الاسرائيلية ، ١٩٤٨** » ، ص ٥٢ ، ٦٣ ، ول . هايمان ، **مارين كوربس غازيت** ، يونيو ، ١٩٦٤ ، ك. بيلبي ، ١٩٥٠ ، ص ٤٣ ) . وفي ١٩٦٧ — ١٩٦٨، صرح موشيه دايان ، وزير دفاع اسرائيل آنذاك ، علنا وفي مناسبات عدة على التلفزيون الاميركي ان اسرائيل يجب ان تكون يهودية مثلما هي بريطانيا بريطانية وفرنسا فرنسية . وبكلام اخر ، يجب ان تكون خلوا من الوطنيين . وقد رفضت اسرائيل ان

تعيد مئات الالوف من اللاجئين العرب الفلسطينيين بعد حرب ١٩٤٨ ومرة ثانية بعد حرب ١٩٦٧ . وبعد هذه الحرب الاخيرة ، سمح لقسم رمزي من اللاجئين بالعودة الى بيوتهم على الضفة الغربية . وكان اللاجئون غير المعادين هم الذين صودرت املاكهم بموجب قانون ملكية الغائبين .

وتسهل دول المستوطنين مجيء مهاجرين مؤهلين : اوروبيين بيض لجنوب افريقيا ويهود لاسرائيل . ويعطي قانون العودة الاسرائيلي الحق لاي اسرائيلي ( محدد شرعيا وفقا للقوانين الدينية ) في الاستقرار في اسرائيل واكتساب المواطنية. وكما هي الحال في جنوب افريقيا ، فالمهاجرون يحصلون على مساعدة اجتماعية واقتصادية في الاسكان . وفي الوقت ذاته تميز قوانين المواطنية ضد السكان الوطنيين ( انظر جورج جبور ، ص ٦٤ ) . وباختصار فان حركات الاستعمار الاستيطاني تغتصب الارض الوطنية ، وتطرد او تحصر السكان الوطنيين وتشجع مجيء مهاجرين مستوطنين مؤهلين . وهم يسوغون هذا في اطار ايديولوجيا تشتمل على افكار تقول انهم يمدنون السكان الوطنيين ، ولكن كثيرا ما يكون هذا التسويغ توراتيا . ويبرز هذا بنوع خاص في جنوب افريقيا واسرائيل .

كانت الكنيسة المصلحة الهولندية ، كنيسة المستوطنين الافريكانيين ، اعتمادا على بعض عبارات العهد القديم ، تعتقد ان عدم المساواة بين الاجناس هو امر مقدر من الله . اما السود ، الذين تعتبرهم الكنيسة من سلالة حام ، فمقدر لهم ان يخدموا البيض . وفكر البوير في الغاء الاستعباد بوصفه مناقضا لمفاهيم الكتاب المقدس ( انظر جورج جبور ، ١٩٧٠ ، ص ٥٨ ) . ونظر الافريكانيون الى السود على انهم ادنى مرتبة منهم ومنحطين وغير متمدنين .. ورسالة البيض هي تمدينهم .

والصهاينة ، ايضا ، يعتمدون على مقاطع من التوراة لتسويغ ادعائهم واستعمار فلسطين . فبالاضافة الى وظيفة الصهاينة لحمل المدنية الى منطقة اسيوية متخلفة (كما كتب هيرتزل في مذكراته) فقد اعتبروا فلسطين ارض الموعد ، المعطاة لهم من الله . وليس استعمارهم البلاد اكثر من مجرد استعادة ما هو لهم توراتيا وتحقيق النبوة التوراتية . وتستمر تصاريح زعمائهم في التكلم عن أرض اسرائيل التي تشتمل على الكثير من الاراضي الحالية التي احتلت منذ حرب ١٩٦٧ .

**النظام الاستعماري للسكان الوطنيين** . كما يشير فان دن برغ ، يقيم المستعمرون المستوطنون «ديموقراطية هيرنفولك» ويفرضون فيها على السكان الوطنيين — الذين يبقون منهم تحت سيطرتهم — نظاما استعماريا يتميز بثلاث صفات رئيسية : ( أ ) حرمان الحقوق السياسية والسيطرة السياسية ( ب ) الفصل الاجتماعي ، ( ج ) الاستغلال الاقتصادي . ووسائل تحقيق السيطرة السياسية على السكان الوطنيين وحرمانهم حقوقهم السياسية هي مباشرة وغير مباشرة معا . فبفضل الادعاء المتناقض بالديموقراطية البرلمانية ، تلجأ انظمة المستوطنين ، اكثر الاحيان ، الى وسائل دقيقة وغير مباشرة لكبح الحريات السياسية للسكان الوطنيين . وفي جنوب افريقيا وروديسيا حيث السكان السود الوطنيين يشكلون الاكثرية العددية ، يحرم الوطنيون صراحة حق التصويت . وفي اسرائيل ضمن حدود ١٩٤٨ حيث يشكل ما تبقى من السكان الوطنيين اقلية ( نحو ١٢٪ ) ، فانهم لم يحرموا الحقوق السياسية ولكنها قيدت الى حد كبير .

لقد قيدت حرية التعبير والاجتماع تقييدا شديدا عن طريق قانون المنشورات والتسلية لعام ١٩٦٣ وقانون قمع الشيوعية لعام ١٩٥٠ في جنوب افريقيا . وتحدد « الشيوعية » بانها اي مبدأ « يهدف الى احداث اي تغيير سياسي ، صناعي ، اجتماعي او اقتصادي ضمن الاتحاد عن طريق تشجيع الاضطراب او اختلال النظام ، وعن طريق اعمال او اهمال غير قانونيين او عن طريق التهديد بمثل هذه الاعمال او هذا الاهمال » ( انظر جورج جبور ، ١٩٧٠ ، ص ٦٧ ) . وقد عنى مثل هذا التحديد الواسع للقانون قمع اي نشاط للسكان الوطنيين . ففي سنة ١٩٦٣ وحدها ، حظرت ٧٥٠٠ منشورة . اما القوانين الاسرائيلية التي تكبح حرية التعبير عند السكان الوطنيين فهي اكثر حذرا وتحفظا ولكنها لا تقل عن قوانين جنوب افريقيا فعالية . فالمنشورات الفلسطينية المستقلة في اسرائيل اما لا يسمح باصدارها او تقيد ويسيطر

عليها . وافضل مثل موضح لهذا النمط هو حال منشورة **الارض** ( انظر ج. لاندو ، ص ٩٦ ، وصبري جريس ، ١٩٦٩ ) .

ويقلص المستعمرون كذلك حرية التجمع والتنظيم السياسي للسكان الوطنيين . ففي جنوب افريقيا نجد ان « قانون التنظيم غير الشرعي » لعام ١٩٦٠ ( وهو مماثل لقانون اخر في روديسيا ) و « قانون حظر التدخل غير اللائق » لعام ١٩٦٦ ، لا يخولان السلطة اعلان منظمات افريقية وطنية مثل « مؤتمر عموم افريقيا » و « المؤتمر الوطني الافريقي » غير شرعية فحسب ، ولكنهما ايضا منعا الجماعات العنصرية المختلفة من المشاركة في نشاطات سياسية مشتركة . والى ذلك يفرض « قانون المحافظة على النظام » قيودا على حرية الاجتماع . فما من افريقي يستطيع عقد اجتماع او الخطابة فيه او ترأسه دون اذن كتابي من مندوب الحكومة الابيض في المنطقة . وفي حين ان هذه هي قوانين معلنة للسيطرة السياسية على السكان الوطنيين في جنوب افريقيا ، فان اسرائيل تستخدم اجراءات غير رسمية ولكن تمكن ملاحظتها لتقييد وتقليص النشاط السياسي الفلسطيني المستقل . وقد احبطت الحكومة الاسرائيلية جميع المحاولات لتأسيس احزاب عربية مستقلة ( انظر ج. لاندو ، ص ٥٤ ، صبري جريس ، ١٩٦٨ ) . وتشتمل الاساليب الاسرائيلية ضد النشاط السياسي للسكان الوطنيين على اعتقال الزعماء وسجنهم ، مضايقة القائمين بنشاط سياسي مضايقة قانونية ومن انواع اخرى ، الامتناع عن تسجيل الجمعيات الخ ... احد الامثلة على ذلك هو « الجبهة العربية » ، المؤسسة عام ١٩٥٨ ، وقد سميت في ما بعد الجبهة الشعبية : « اتخذت السلطات الاسرائيلية بدورها خطوات لتثبيط النشاطات السياسية للجبهة التي اعتبرت انها ممكن ان تكون تخريبية . ورفضت الادارة العسكرية ان تمنح بعض اعضاء الجبهة النشيطين تصاريح سفر ... حتى ان بعضهم احتجز للتحقيق » ( لاندو ، ص ٩٤ ) .

اشتمل الرفض الاسرائيلي تسجيل الجماعات الوطنية النشيطة سياسيا على جماعة الارض الوطنية عام ١٩٦٠ ، وقد اعتقل زعماء الارض وضويقوا وابعدوا عن البلاد بتهم مختلفة تشمل « النشاطات التخريبية » . ورفضت السلطات الاسرائيلية تسجيل قوائم انتخابية عربية مستقلة . ورفع اعضاء احدى هذه القوائم امرهم الى القضاء لكن المحكمة الاسرائيلية ايدت القرار على اساس ان « الجماعة عرضة لتخريب الدولة بمحاولتها استغلال اي منفذ في القانون لتحقيق اهدافها السياسية » ( استشهد به لاندو ، ص ١٠٠ ) .

وتخضع الاندية والجمعيات الرياضية والثقافية والتربوية العربية لمراقبة دقيقة ويتعرض زعماؤها للمضايقة والاعتقال والتحقيق الخ . وبالفعل ، يبدو وكأن السياسة الاسرائيلية ترمي الى منع واحباط اي نمو للحركات السياسية العربية المستقلة ، مهما كانت غير خطرة . ففي ١٩٥٨ — ١٩٥٩ ، على سبيل المثال ، تأسست لجنة طلبة عرب في الجامعة العبرية بالقدس ولكن الجامعة واتحاد الطلبة الاسرائيليين رفضا الاعتراف بها . وحكم على امين عام اللجنة بالسجن بتهم القيام « بنشاطات تخريبية » . وكانت السلطات دائما تحبط تشكيل احزاب سياسية عربية مستقلة . وكما لاحظ أمون لين ، رئيس دائرة الشؤون العربية في ائتلاف حزبي سياسي اسرائيلي يدعى الرصف Alignment : « ثمة خطر عظيم في عين وجود حزب عربي غير متحد مع اي حزب يهودي » ( لاندو ، ص ٧٢ ) . وكلمة « متحد » يجب ان تعتبر تعبيرا ملطفا لعبارة « خاضع لسيطرة » . ذلك ان « السلطات الاسرائيلية ، كالسلطات الجنوب الافريقية ، كانت جميعا تؤيد جمع المتعاونين معها وانصارها من السكان الوطنيين ، واعطاءهم الدعم الكامل . وبهذه الطريقة حاولت ان تصور السكان الوطنيين كمشاركين في العملية الديموقراطية » ( جورج جبور ، ص ٧٣ ) .

ربما كانت احدى الآليات الاكثر فعالية للسيطرة السياسية والاجتماعية على السكان الوطنيين في جميع دول الاستعمار الاستيطاني بما فيها جنوب افريقيا واسرائيل هي تقييد وتنظيم حرية تحركهم . ويسوغ مثل هذا التقييد بحجج مختلفة ، بما فيها الامن . فالتفرقة العنصرية الجنوب افريقية تحصر السكان الوطنيين في مناطق معينة عن طريق قوانين عدة ، مثل « قانون مناطق الجماعات » ، و «قانون

مناطق المدن الموحدة للبانتو » ، و « قانون تعديل تشريعات البانتو » . وتسيطر السلطات سيطرة شديدة على مغادرة المناطق الافريقية ، المفردة للسود ، ودخولها . ولا يستطيع الافريقيون السفر او الاقامة في المناطق البيضاء ( اكثر من ثلاثة ارباع البلاد ) الا اذا استطاعوا ان يثبتوا سببا رسميا لذلك . ويجب ان يتم هذا بواسطة وثائق سفر رسمية .

وفي اسرائيل تفرض مثل هذه القيود على العرب الفلسطينيين . منذ خلق دولة اسرائيل في ١٩٤٨ ، عاش اكثر من ٨٠٪ من عرب فلسطين ، لفترة من الوقت على الاقل ، تحت الحكم العسكري . والقوانين التي تحكم هذه « المناطق العسكرية » هي قوانين حالة الطوارىء التي اصدرها الانتداب البريطاني في فلسطين عام ١٩٤٥ . وسنت اسرائيل في ١٩٤٩ قوانين اضافية : «قوانين مناطق الامن». وتعطي مواد هذا القانون الحاكم العسكري حقوقا شبه دكتاتورية لا في تقييد حرية الحركة فحسب بل في تقييد جميع الحريات المدنية . وليس ثمة ملاذ للسكان الوطنيين غير السلطات العسكرية — الادارية العليا . وقد طبقت هذه القوانين وهذا الحكم العسكري في المناطق التي فيها اعظم كثافة سكانية للعرب : الجليل ، النقب ، و « منطقة المثلث » في المنطقة الوسطى من البلاد . ودام هذا الحكم العسكري من ١٩٤٨ حتى ١٩٦٦ ، عندما اعيد الى سيطرة الشرطة . وخلال حرب ١٩٦٧ ومنذ ذلك الحين اعيد فرض الحكم العسكري في هذه المناطق ، كما في منطقة الضفة الغربية . ولم يكن هذا الحكم مطبقا قرب الحدود الاسرائيلية فحسب ، بل ايضا في المناطق البعيدة عن الحدود . وكان الخروج من هذه « المناطق المغلقة »والدخول اليها يتم بواسطة جوازات مرور عسكرية بالنسبة الى السكان الوطنيين . ويتوسع صبري جريس في شرح نظام السيطرة هذا الذي تمارسه السلطات الاسرائيلية ضد السكان الوطنيين . وينبغي تجديد هذه الجوازات دوريا في اجراء متعب ، مستهلك للوقت ، واذا حرم العربي هذا الجواز لا يمكنه الرجوع الى احد . وكثيرا ما كانت تمنع اذونات السفر بغية منع العرب من التنافس مع الاسرائيليين على العمل ، خصوصا في المدن ( د. بيرتز ، ١٩٥ ) .

في ١٩٤٨ ارغم العرب الذين ظلوا في مناطق المدن على الانتقال الى مناطق معينة مخصصة لهم، مع التخلي على ممتلكاتهم . هذا الوضع الشبيه بالغيتو القسري ادى الى عزل عرقي للاقلية العربية المخلوقة حديثا . وبرزت هذه العملية الى جانب نظام الحكم العسكري كأساس للعزل العرقي الاجتماعي للعرب .

وكما هي الحال في جنوب افريقيا هناك ، بالطبع، عدد رمزي من السكان الوطنيين في وظائف رسمية وتأسيسية معينة ، ولكن هؤلاء وطنيون «مأمونون» و « مخلصون » . ويلاحظ لاندو ، وهو استاذ جامعي اسرائيلي يكتب عن العرب في اسرائيل بصورة مؤاتية : « كان معظم المرشحين ( العرب الذين يزكيهم حزب الماباي ) ... من الطبقات العليا للاعيان المحليين والمتعاونين بصورة وثيقة مع الحكومة الاسرائيلية والماباي » ( لاندو ، ص ١١٣ ) . كما ان الاعضاء العرب في البرلمان الاسرائيلي « في حالات كثيرة ... يتوقعون على الارجح موافقة الماباي مقدما على الاسس العامة لخطبهم على الاقل » ( لاندو ، ص ١٩٥ — ١٩٦ ). وتذمر احد هؤلاء المتعاونين « من ان المتحالفين العرب في ائتلاف الرصف لا يستشارون ابدا ، مع انهم يؤمرون حول كيفية التصويت » ( استشهد به لاندو ، ص ١٧٩ ) .

هذا النمط لتشجيع ودعم القيادة الوطنية المحافظة والمتعاونة لا يختلف عن النمط الجنوب افريقي لدعم الزعماء القبليين الافريقيين السود .

واخيرا فان السيطرة السياسية والاجتماعية على السكان الوطنيين هي ضرورية للاستغلال الاقتصادي لهؤلاء القوم . فالسكان الوطنيون في كل من جنوب افريقيا واسرائيل متركزون في فئات العمل الدنيا : الاعمال الحقيرة ، وغير الماهرة ، وشبه الماهرة . وهذه القيود هي اما موضع ممارسة او احيانا يوفرها القانون . وبالفعل ، لا يدفع للسكان الوطنيين في اسرائيل غير جزء مما يكسبه المستوطنون لنفس العمل ( صبري جريس ، استنادا الى مناقشات برلمانية ، انظر ايضا ب. بوراث ، ١٩ ، و أ. كوهن ، ١٩٦٤ ) . ويمارس هنا ايضا النمط المعتاد لكون العربي اخر من يستخدم واول من يصرف من عمله .

ونموذجيا ، فان العمال العرب اما يحرمون حق تنظيم انفسهم او ان هذا الحق يقيد تقييدا شديدا . وفي جنوب افريقيا ، يحدد « قانون التوفيق الصناعي » لعام ١٩٥٦ العمال الافريقيين بطريقة تحرمهم حق التنظيم النقابي . وفي اسرائيل كان لمنظمة المستوطنين النقابية القوية ، الهستدروت ، تاريخ عداء طويل للعمال العرب . ففي ايام الانتداب ، كان شعار الهستدروت ينادي بالعمل لليهود فقط ، وبعد خلق دولة اسرائيل ، صار الشعار الجديد ينادي باستخدام « العمال المنظمين » . وبما ان العمال العرب لم يكونوا منتظمين في نقابات وغير مسموح لهم بالانتماء الى الهستدروت ، فقد عنى هذا الشعار الاخير رفض توظيف العرب وفي ١٩٦٠ سمح للعرب اخيرا بدخول الهستدروت ، ومع هذا فان قوة كسبهم المادي ما تزال جزءا ضئيلا من قوة كسب العمال الاسرائيليين المساوين لهم . « كان العامل العربي ... محصورا في الاعمال الكريهة التي لا يقبل بها العمال اليهود ، كالعمل في البواليع او البناء . ولم تكن الاجور التي تدفع للعمال العرب مساوية ابدا للاجور التي تدفع لليهود ، حتى وان كان العرب يقومون بالعمل نفسه . وعمليا ، كان الكثير من الاعمال مغلقا في وجه العمال والموظفين العرب ... وكان العمال العرب مجبرين على أخذ اقسى الاعمال واكثرها تحقيرا » ( أ. كوهين، استشهد به في صبري جريس ، ١٩٦٨ ) .

ومعظم العمال العرب في اسرائيل هم من النوع « المتنقل من مكان الى مكان » ويقطع احيانا مسافات طويلة ليصل الى عمله ولا يعود الى منزله الا دوريا . ومنذ ١٩٦٧ صار نحو ٧٠ الف عربي من الاراضي المحتلة يسافرون كذلك يوميا من والى اسرائيل للعمل . وقد استخدم هؤلاء العمال العرب كايد عاملة رخيصة جدا في اسرائيل ( انظر س. ريان ، ١٩٧٤ ) .

ويظهر بوضوح تمييز ممائل في الحقل التربوي . ففي جنوب افريقيا ، رغم بعض التقدم ، نجد ان ٦٠٪ من السكان الوطنيين الذين هم في سن المدرسة الابتدائية خارج المدرسة ، في حين ان المعدل في اسرائيل هو نحو ٣٠٪ ( جورج جبور ، ص ٨٣ ، صبري جريس ، ص ١٤٦ F F ) .

كما ان مؤسسات ومنشآت التربية الخاصة بالوطنيين هي بشكل واضح احط مستوى وتشكو حرمانا في الثقافة الوطنية . ويقول جريس ان التلاميذ الوطنيين الذين درسوا في مدارس ابتدائية لا يكادون يعرفون قراءة وكتابة لغتهم الوطنية . ويجري تعليم التاريخ الوطني بطريقة مشوهة في حين يصور تاريخ المستوطنين على نحو مجيد ( صبري جريس ، ص ١٤٦ — ١٥٥ ) .

وفي الختام نقول ان «ديموقراطية الهير نفولك» التي اقامها المستوطنون المستعمرون في كل من جنوب افريقيا واسرائيل متماثلة تماما في هدفها وصفاتها العامة ، وان لم يكن في جميع التفاصيل. وتميل البنى الاجتماعية المتشابهة ، والمعضلات في معاملة السكان الوطنيين ، والتسويفات لاستيطانهم والتواريخ اللاحقة الى ايجاد ايديولوجيات مماثلة ، واراء عالمية مماثلة، وتعاطف متبادل . واحد الامثلة الجيدة على ذلك هو الفقرة التالية في **برسبكتيف** ( اب — اغسطس ١٩٦٧ ) ، مجلة « مؤسسة جنوب افريقيا » : « اثارت الحرب الاخيرة في الشرق الاوسط اهتماما محموما وقلقا شديدا في اجزاء كثيرة من العالم ، ولكنها لم تثر الا في قلة من الاماكن مثل الشعور العميق بالتورط الشخصي الذي اثارته في جنوب افريقيا . غير ان العطف على اسرائيل لم يكن محصورا في الجالية اليهودية . فالجنوب افريقيون البيض بوجه عام اعتبروا انفسهم معنيين شخصيا بمحنة الاسرائيليين ... وكانوا جميعا يعون التشابه بين حالة اسرائيل ، التي يحيط بها جيران معادون ، وحالة جنوب افريقيا ... وفي هذه الظروف ، بدا من الطبيعي تماما ان ينظر الجنوب افريقيون البيض بوجه عام الى الاسرائيليين بوصفهم رفاق الخطر ، وان يسعوا الى اسعافهم ومساعدتهم تبعا لذلك » ( استشهد به في A R G ، ١٩٧١ ، ص ٩ — ١٠ ) .

قبل ذلك ، في اعقاب التصويت الاسرائيلي ضد سياسة التفرقة العنصرية في الامم المتحدة الذي اغضب الجنوب افريقيين ، تساءلت صحيفة **دي ترانسفالر** : « وهل هناك اي فرق حقيقي بين الطريقة التي يحاول بها شعب اسرائيل ان يحفظ نفسه وسط شعوب غير يهودية والطريقة التي يحاول بها الافريكاني البقاء هو نفسه ! ان شعب

اسرائيل يرتكز على العهد القديم ليشرح لماذا لا يرغب في الاختلاط بأقوام اخرى : والافريكاني يفعل هذا ايضا » . ( ورد في ستيفنز ، ١٩٧١ ، واعيد طبعه في كتيب ، ص ٢٥ ) .

وهاجم الدكتور فيرفورت التصويت فادلى بتصريح قال فيه ان اليهود : « اخذوا اسرائيل من العرب بعدما عاش العرب هناك الف سنة . وفي ذلك اوافقهم على ان اسرائيل ، كجنوب افريقيا ، هي دولة تفرقة عنصرية » **راند ديلي ميل**، ٢٣ تشرين الثاني — نوفمبر ، استشهد به ستيفنز ، ١٩٧١ ، ص ٢٥ ) .

وباختصار ، ينبغي النظر الى اوجه الشبه البنيوية بين النظامين الاجتماعيين الجنوب افريقي والاسرائيلي على انها عامل اخر ترتكز اليه العلاقة الخاصة بين الدولتين .

وكان العداء الذي ظهر علنا ورسميا من جانب الجنوب افريقيين نحو الاسرائيليين عداء مؤقتا في الواقع ، واحد الاسباب هو ان اليهود الجنوب افريقيين المنظمين ، والموالين بقوة للصهيونية ، سعوا الى تسوية الخلافات ، ويقول ستيفنز ان المصالحة بين جنوب افريقيا واليهودية المنظمة ادت ، في الواقع ، الى تقوية جهود اليهودية المنظمة للدفاع عن جنوب افريقيا في الخارج . وحتى قبل التصويت في الامم المتحدة سنة ١٩٦١ ، « كان مجلس النواب اليهود الجنوب افريقيين قد نصح المنظمات اليهودية في الخارج بالامتناع عن التعليق على المشكلات الجنوب افريقية ... وكجنوب افريقيا ، امتنعت جميع المنظمات اليهودية غير الحكومية التي لها صفة استشارية في الامم المتحدة ... من بحث مسألة التفرقة العنصرية » ( ستيفنز ، ١٩٧١ ، ص ٢٩ — ٣٠ ) .

لقد لعبت الجالية اليهودية الصهيونية في جنوب افريقيا دورا مهما في توثيق العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا . وفي اسرائيل قام الصهيونيون الجنوب افريقيون المهاجرون ، وابرزهم وزير الخارجية السابق أبا ايبان والسفير الاسرائيلي السابق في الامم المتحدة ميخائيل كوماي ، بممارسة الضغط ايضا من اجل علاقات اقوى بين البلدين . وكانت هاتان الجاليتان هما اللتان ساعدتا الى حد كبير في تطوير الصلات الاقتصادية والتنظيمية والبشرية والثقافية المتبادلة . وهذا الوجه ايضا يعزز اساس العلاقة الخاصة .

لقد تفحصت في هذه المقالة اساس علاقة غير اعتيادية ، كانت حتى الاونة الاخيرة مخفية ، بين دولة اسرائيل وجنوب افريقيا ، واظهرت ان لهذه العلاقة جذورا تاريخية عميقة وحميمة ، تنطوي على صلات مالية واقتصادية وتجارية وعسكرية مباشرة ، كما تنطوي على تعاون دولي غير مباشر خاصة في ما يتعلق بفريق ثالث ، هو الولايات المتحدة . والى ذلك يوجد للدولتين نظامان اجتماعيان وايديولوجيان مماثلان خصوصا في ما يتعلق بالسكان الوطنيين . وفوق ذلك تجتهد جماعات معينة داخل كل من البلدين بنشاط لتقوية الروابط بينهما .

ومما لا ريب فيه ان العلاقة بين الدولتين خلال عقد الستينات واجهت صعوبة فيما تغلغلت اسرائيل في افريقيا السوداء وعززت علاقاتها بها . ولكن بالنظر الى الموقفين المعاديين والمستقطبين بسرعة لافريقيا السوداء وجنوب افريقيا ، باتت لعبة التوازن الخطرة التي قامت بها اسرائيل اخيرا بالفشل بصورة دراماتيكية في ١٩٧٣ عندما اقدمت جميع دول القارة تقريبا على قطع علاقاتها الدبلوماسية مع ذلك البلد .

هذه الدراسة لا تتناول الاوضاع المفضية الى قيام علاقة خاصة بين دولة ودولة فحسب ، بل تتناول ، كذلك ، تلك الاوضاع التي ترتبت عليها — وهي دولية واقليمية والى حد اقل ثنائية — والتي ادت الى قطع العلاقات الدبلوماسية بالجملة . وتعتمد كل من العمليتين على الاخرى . والطريقة التي تم بها قطع العلاقات الدبلوماسية بالجملة مع بلد واحد لم يسبق لها مثيل في التاريخ . ولا تهتم الدراسات الراهنة للعلاقات الدبلوماسية والدولية اهتماما جديا كافيا بتحليل القطع السريع والفجائي للعلاقات الديبلوماسية .

بين الدراسات القليلة المتوافرة ، يبحث ليرتش وسعيد ( ١٩٧٣ ) دلالة قطع العلاقات كعنصر اكراهي في العلائق الدولية . وتؤكد المحاولات الاخيرة لتحليل العمل الدراماتيكي الذي قامت به الدول الافريقية توكيدا كبيرا على دور شخصية

واسلوب رؤساء الدول، وعلى الدافع الفظ لكسب المنح والقروض المالية من البلدان العربية المنتجة للنفط والثرية حديثا ، وعلى محاولة الزعماء لاسترضاء الجماعات السياسية الداخلية ( جيتلسون ، ١٩٧٤ ) . ويشير جيتلسون الى « التضامن الواضح » في اعمال الدول الافريقية ضد اسرائيل ولكنه يقول « ان مثل هذا الاجماع في العمل كان ممكنا لان اسرائيل ليست دولة كبرى » وان « الحالة التي احاطت بحرب [١٩٧٣] كان لها فعل متغير معترض عجل في احداث تأثير كرة الثلج » ( جيتلسون ، ١٩٧٤ ، ص ٤٧٥، انظر ايضا جيتلسون ، ١٩٧٣ ) .

مثل هذه التفسيرات ليست تحليلا كافيا لاسباب القطع الجماعي للعلاقات الدبلوماسية ولا للعملية المزدوجة المفضية الى قيام دول عديدة بقطع العلاقات وتعزيزها مع قلة معينة . كما ان مثل هذا التحليل يتجاهل التضامن النامي لبلدان العالم الثالث على نطاق عالمي — في المنظمات الدولية الرسمية وفي كتل التصويت على السواء — في النضال ضد الدول الامبريالية الجديدة ، وحليفاتها والدول التابعة لها . وربما كان اعتبار هذا الصراع المتعدد الجوانب مظهرا من مظاهر التناقض الاساسي في العالم اليوم ، هو خطوة اولى في فهم التحولات المعاصرة التاريخية في علاقات الامة — الدولة — والانماط المتغيرة لقطع العلائق الدبلوماسية والتضامن . وفي نطاق هذا التصور العقلي يمكننا ان نفهم فهما كافيا علاقات اسرائيل بجميع الدول الافريقية — الشمالية منها والواقعة جنوب الصحراء الكبرى .

**الجدول الاول**

**صادرات اسرائيل الى افريقيا الواقعة جنوبي الصحراء الكبرى بالوف الدولارات الاميركية***

| البلد | ١٩٦٢ | ١٩٧١ |
|---|---|---|
| جمهورية الكونغو الشعبية | ٧ | ١ |
| انغولا | ٧ | — |
| كاميرون | ٤ | ٩ |
| جمهورية افريقيا الوسطى | ٤ | ٢ |
| تشاد | ٣ | ٥ |
| الداهومي | ١٥ | ٩٨ |
| اثيوبيا | ٩٧٧ | ٣،٥٧٤ |
| الغابون | ٣٩ | ١٦٦ |
| غانا | ١،٤٣٥ | ٣،١٠٣ |
| غينيا | ١٥ | ١٦ |
| ساحل العاج | ٥٥٤ | ١،٢٥٥ |
| كينيا | ٣١١ | ٤،١٨٧ |
| ليبيريا | ٦٨٦ | ٣،٣٤٧ |
| مالاغاسي | ٢٢٠ | ٢١ |
| مالي | ١٢ | ١٣ |
| موريشوس | — | ٢٥٣ |
| موزمبيق | ٢٣ | غيرمحدد |
| ناميبيا | غيرمحدد | غيرمحدد |
| النيجر | ١٠ | — |
| نيجيريا | ٢،٢٥٥ | ٤،٩٥٠ |
| رواندا | — | ٧٦ |
| روديسيا ( مع مالاوي وزامبيا ) | ٧٢٩ | |
| ( مع مالاوي) | | ١٦٦ |
| السنيغال | ٥٥ | ٣١ |
| سيراليون | — | ٧ |
| الصومال ( الفرنسي ) | غيرمحدد | ٧٠ |
| جنوب افريقيا | ٢،٠٠٨ | ٩،٣٩٨ |
| تنزانيا | ٤٠١ | ١،٤٠٢ |
| توغو | ٥ | ٣٢ |
| اوغندا | ١٩ | ٧،٩٨٥ |
| فولتا العليا | — | ٣٠ |
| زائير | ٣ | ٢،١٣٣ |
| زامبيا | | ٣،٠٢٠ |
| غيرها | ٨٤٢ | ١،٩٧٤ |
| المجموع | ١٠،٧٢٩ | ٤٧،٤٢١ |

* تقديرات .

## الجدول الثاني

### واردات اسرائيل من افريقيا الواقعة جنوبي الصحراء الكبرى بالوف الدولارات الاميركية*

| البلد | ١٩٦٢ | ١٩٧١ |
|---|---|---|
| الكاميرون | ٣٠ | غيرمحدد |
| جمهورية افريقيا الوسطى | ٦١٢ | ٣٠٢٩٠ |
| جمهورية الكونغو الشعبية | ٣٤٣ | ١٩٣ |
| الداهومي | غيرمحدد | ١ |
| اثيوبيا | ١٠٥٣٩ | ٢٠١٩٤ |
| الغابون | ٣٠٦٤٤ | ٨٣٧ |
| غانا | ٨٨٨ | ٨٤٧ |
| غينيـــا | ٢٤٦ | ١١٨ |
| ساحل العاج | ٢٧٠ | ٤١٣ |
| كينيـــا | ١٠٥٤٠ | ١٠٠١٢ |
| ليبيريا | ٢٠٧٥٢ | ٣٠١٨٠ |
| مالاغاسي | ٢٢ | ١٣ |
| مالاوي | غيرمحدد | ٣٢٦ |
| مـــالي | ٦ | ٨ |
| موزمبيق | ٢٨٩ | غيرمحدد |
| النيجر | غيرمحدد | ٢ |
| نيجيريا | ١٨٦ | ٣٠ |
| روديسيا | | ٥٥ |
| (مع مالاوي وزامبيا) | ٢٩٠ | |
| السنيغـــال | ١ | — |
| جمهورية الصومال | ٥٠ | — |
| الصومال ( الفرنسي ) | غيرمحدد | ٢ |
| جنوب افريقيا | ٥٠٥٣٨ | ٨٠٠٨٠ |
| تنزانيـــا | ١٤٥ | ١٩٧ |
| اوغندا | ٢٥٤ | ١٠٤٣٥ |
| زائير | غيرمحدد | ١٣٦ |
| زامبيا | | ٣٨ |
| غيرها | غيرمحدد | ٢٠٨٠٤ |
| المجموع | ١٩٠٩٢٥ | ٢٥٠٢١١ |

* تقديرات .

## الجدول الثالث

### قيمة نشاطات سوليل بونيه المشتركة مع الحكومات الافريقية ١٩٥٧ — ١٩٧٠ بالوف الدولارات الاميركية

| البلد | قيمة المشاريع المنجزة (١٩٥٧—١٩٦٩) | قيمة المشاريع الراهنة (١٩٧٠) |
|---|---|---|
| اثيوبيا | ١٩٠٤٠٠ | — |
| غانا | ١٧٠٥٠٠ | — |
| ساحل العاج | ٢٠٠٧٤٠ | ٢٠٣٥٠ |
| كينيـــا | ٩٠٥٠٠ | ١٠٩٠٠ |
| النيجر | ٢٠٤٠٠ | ١٧٠٢٠٠ |
| نيجيريا (المجموع) | ٦٧٠٤٥٠ | ١٠٧٢٥ |
| سيراليون | ١٣٠٢٥٠ | — |
| الصومال (الفرنسي) | ٥٠٥٠٠ | ١٠٣٠٠ |
| تنزانيـــا | ١٢٠٢٠٠ | ٧٠١٠٠ |
| اوغندا | ٢٧٠ | ٩٠٥٣٠ |
| زامبيـــا | ٧٠٣٠٠ | — |
| المجموع | ١٧٥٠٥١٠ | ٤٣٠٦٥٥ |

## الجدول الرابع

### البلدان الافريقية التي وقعت اتفاقيات معونة فنية مع اسرائيل

| البلد | السنة |
|---|---|
| بوروندي | ١٩٦٢ |
| الكاميرون | ١٩٦٢ |
| جمهورية افريقيا الوسطى | ١٩٦٢ |
| تشاد | ١٩٦٤ |
| الداهومي | ١٩٦١ |
| الغابون | ١٩٦٢ |
| غامبيا | ١٩٦٢ |
| غانا | ١٩٦٢ |
| ساحل العاج | ١٩٦٢ |
| كينيـــا | ١٩٦٦ |
| ليسوتو | ١٩٧١ |
| ليبيريـــا | ١٩٦٢ |

| | |
|---|---|
| مالاغاسي | ١٩٦١ |
| مالي | ١٩٦٠ |
| النيجر | ١٩٦٣ |
| رواندا | ١٩٦٢ |
| سيراليون | ١٩٦٢ |
| سوازيلاند | ١٩٦٢ |
| تنزانيا | ١٩٦٣ |
| التوغو | ١٩٦٤ |
| اوغندا | ١٩٦٢ |
| فولتا العليا | ١٩٦١ |
| زائير | ١٩٧١ |
| زامبيا | ١٩٦٦ |

**الجدول الخامس**

**المتدربون الافريقيون في اسرائيل**

**بحسب حقل التدريب ( ١٩٦٩ )**

| الحقل | العدد |
|---|---|
| التعاونيات والعمال | ١٢٨ |
| الزراعة والهندسة الزراعية | ١١٣ |
| الانماء البيئوي | ٦٧ |
| قيادة الشبيبة | ٤٧ |
| الطب والصحة | ٣٩ |
| طلبة جامعات وكليات | ٣٥ |
| الادارة | ٣٤ |
| غيرها | ١٢ |
| المجموع | ٤٧٥ |

**المصادر** : مكتب اسرائيل المركزي للاحصاءات ، **فورين تريد ستاتيستيكس** ، المجلد الخامس ، العدد ١٢ ، كانون الثاني — آذار ( يناير — مارس ) ، ١٩٧٣ ، الجزء الاول والثاني ، **جنوب‌افريقيا واسرائيل** ، ١٩٧١ ، ماخوذة من **دايركشن اوف تريد** ، مارس ، ١٩٧٠ .

**الجدول السادس**

**الخبراء الاسرائيليون في افريقيا**

**بحسب حقل الخبرة ( ١٩٦٩ )**

| الحقل | العدد |
|---|---|
| منظمات الشبيبة | ٦٨ |
| الزراعة | ٤٤ |
| الادارة | ٢٠ |
| البناء | ١١ |
| الفني | ١٠ |
| الاجتماعي | ٣ |
| المجموع | ١٥٦ |

**الجدول السابع**

**التجارة بين اسرائيل وجنوب افريقيا**

**بالوف الدولارات الاميركية**

| وفقا للمصادر الاسرائيلية | التجارة من اسرائيل الى جنوب افريقيا | التجارة من جنوب افريقيا الى اسرائيل |
|---|---|---|
| ١٩٦٥ | ٢،٧٠٠ | ٤،٣٠٠ |
| ١٩٦٦ | ٢،٣٠٠ | ٤،٥٠٠ |
| ١٩٦٧ | ٤،٠٠٠ | ٣،٤٠٠ |
| ١٩٦٨ | ٥،٧٠٠ | ٥،٢٠٠ |
| ١٩٦٩ | ٨،١٨٠ | ٥،٧٩٠ |
| ١٩٧٠ | ١٠،٦٠٠ | غيرمحدد |
| ١٩٧١ | ٩،٤٠١ | ٧،٩٧٤ |
| ١٩٧٢ | ٨،٨١٥ | ١١،٥٨٩ |
| ١٩٧٣ ( الاشهر التسعة الاولى ) | ٩،٢٠٢ | ٢٤،٨٦٣ |

## مراجع البحث


عبد الرحمن ، عواطف، **اسرائيل وافريقية** (بيروت، مركز الابحاث في م.ت.ف. ، ١٩٧٤ .

Abu-Lughod, I. & B. Abu-Laban, eds. *Settler Regimes in Africa and the Arab World,* Wilmette, III. : Medina University Press, 1974.

Abu-Lughod, I. *The Transformation of Palestine,* Evanston, III. : Northwestern University Press, 1971.

[ صدر الكتاب بالعربية عن مركز الابحاث بعنوان « تهويد فلسطين » ].

Abu-Lughod, J. «The Demographic

in I. Abu-Lughod & B. Abu-Laban, eds, *Settler Regimes in Africa and the Arab World,* Wilmette, III. : Medina University Press, 1974.

Heiman, L. «All's Fair...,» *Marine Corps Gazette,* June 1964.

Herzl, T. *The Diaries of Theodore Herzl,* New York : Grosset and Dunlap, 1962.

[ صدر الكتاب بالعربية عن مركز الابحاث بعنوان « يوميات هرتزل » ] .

Hepple, A. *Workers Under Apartheid,* London, 1969 (pamphlet).

*Israel Yearbook,* 1952, 1960/1965.

Jabbour, G. *Settler Colonialism in Southern Africa and the Middle East,* Beirut : PLO Research Center, 1970.

*Jerusalem Post,* April 1, 1958.

Jiryis, S. *The Arabs in Israel,* Beirut: Institute for Palestine Studies, 1969.

[ صدر الكتاب بالعربية عن مركز الابحاث بعنوان « العرب في اسرائيل » ].

Klare, M. *War Without End,* New York : Vintage, 1972.

Koestler, A. *Promise and Fulfilment,* New York : Macmillan, 1949.

Landau, J. *The Arabs In Israel,* London: Oxford University Press, 1968.

Laufer, L. *Israel and the Developing Countries,* New York: Twentieth Century Fund, 1968.

Lerche, C. O. & A. A. Said, *Concepts of International Politics,* Englewood Cliffs, N. J. : Prentice-Hall, 1963.

Lobel, E. «Palestine and the Jews», in A. El-Kodsy and E. Lobel,*The Arab World and Israel,* New York : Monthly Review Press, 1970.

Lorch, N. *Edge of the Sword,* Jerusalem : Massada Publishers, 1968.

Marquand,L. *The Story of South Africa,* London : Oxford, 1966.

*MERIP Reports,* No. 32, Washington & Boston : Middle East Research and Information Project, Inc., November 1974.

*Middle East Record,* 1960.

Morris, G. *The CIA and American Labor,* New York : International Publishers, 1968.

*New York Times,* April 30, 1971.

O'Ballance, E. *The Arab-Israeli War,* 1948, London : Faber & Faber, 1956.

Peretz, D. *Israel and the Palestine* Transformation of Palestine», in I. Abu-Lughod, ed., *The Transformation of Palestine,* Evanston, III. : Northwestern University Press, 1971.

Africa Research Group, «David and Goliath Collaborate in Africa», *Leviathan,* September, 1969.

*Afrique-Asie,* July 20, 1970.

Agee, P. *Inside the Company: CIA Diary,* London : Penguin, 1975. «Agent Meany», *New Republic.*

*American Jewish Yearbook, 1968.*

Ben-Porath, Y. *The Arab Labor Force in Israel,* Jerusalem : Falk Institute, 1966.

Begin, M. *The Revolt : Story of the Irgun,* Tel Aviv : Hadar Publishing Co. 1964.

Bilby, K. *New Star in the Near East,* Garden City, N. Y. : Doubleday, 1950.

Childers, E. B. «The Wordless Wish: From Citizens to Refugees», in I. Abu-Lughod, *The Transformation of Palestine,* Evanston, III. : Northwestern University Press, 1971.

Cohen, A. *Israel and the Arab World,* Paris, 1964.

Decraene, P. «Is the Romance with Israel Over?» *Africa Report, May/June,* 1973.

Dowd, D. *The Twisted Dream,* Cambridge, Mass. : Winthrop Publishers, 1974.

*Economist,* August 27, 1960.

Emmanuel, A. «White Settler-Colonialism and the Myth of Investment Imperialism», *New Left Review,* No. 73, May-June, 1972.

«Financial Credit Agreement between South Africa and Israel», *Africa Diary,* August 20-26, 1970.

*Financial Mail,* Johannesburg, September 4, 1970.

Frank, A. G. *Latin America : Underdevelopment or Revolution,* New York: Monthly Review Press, 1971.

*Free Palestine,* December 1974.

Gitelson, S. A. «Israel in Africa : Success and Setback», *Jerusalem Post,* January 12, 1973.

«Why do Small States Break Diplomatic Relations With Outside Powers ? Lessons from the African Experience», *International Studies Quarterly,* Vol. 18, No. 4, December 1974.

Halbrook, S. «The Philisophy of Zionism : A Materialist Interpretation»,

[ صدرت الدراسة في **شؤون فلسطينية** ، عدد ٢٨

*South African Financial Gazette*, 1971. «South African Trade Mission Visits Israel», *Africa Diary*, February 26 - March 4, 1971.

*Standard* of Tanzania, October 7, 1972. Stein, L. J. *The Balfour Declaration*, New York : Simon & Schuster, 1961.

Stevens, R. «Settler States and Western Response», Manuscript, 1971.

«Smuts and Weizmann», *Journal of Palestine Studies*, Autumn, 1973, vol. III, No. 1.

«Zionism, South Africa and Apartheid: Paradoxical Triangle», *Phylon*, Vol. 32, No. 2, 1971.

[ صدر الكتاب بالعربية عن مركز الابحاث بعنوان « الصهيونية وجنوب افريقية والتمييز العنصري » ] .

*Sunday Times*, London, June 15, 1969.

*Tricontinental Bulletin*, June, 1968.

Tomeh, G. J. *Israel and South Africa*, New World Press, 1973.

Van Den Berghe, P. L. *Race and Racism*, New York : Wiley, 1967.

*South Africa, A Study In Conflict*, Middletown, Conn: Wesleyan University Press, 1965.

Vatcher, W. *White Laager*, New York: Praeger, 1965.

Zack, A. *Labor Training in Developing Countries*, New York : Praeger, 1967.

*Arabs*, Washington, D. C. : Middle East Institute, 1958.

Rivkin, A. *Africa and the West*, New York : Praeger, 1961.

«Israel and the Afro-Asian World», *Foreign Affairs*, April 1959.

Rodinson, M. *Israel : A Colonial Settler State ?*, New York : Pathfinder Press, 1973.

Rogers, H. S. «Imperialism in Africa», *The Black Scholar*, January 1972.

Ruedy, J. «Dynamics of Land Alienation», in I. Abu-Lughod, ed., *The Transformation of Palestine*, Evanston, III: Northwestern University Press, 1971.

Ryan, S. «Israeli Economic Policy in the Occupied Areas : Foundations of a New Imperialism», *MERIP Reports*, No. 24, Washington & Boston: Middle East Research and Information Project, Inc., January 1974.

[ صدرت الدراسة في **شؤون فلسطينية** ، عدد ٣٧ و٣٨ .

Silverburg, S. «Israeli Military and Paramilitary Assistance to Sub-Saharan Africa : A Harbinger for the Role of the Military in Developing States,» M. A. Thesis at American University, Washington, D. C.

Smith, S. *U. S. Neocolonialism in Africa* , New York : International Publishers, 1974.

*South Africa and Israel*, Research Report by Madison Area Committee on South Africa, 1971